منشورة
للنشر
الإليكترونى

روايـة

مخدع دافنشى

أشرف توفيق

نوع العمل: رواية

أسم الرواية: مخدع دافنشى

أسم المؤلف: أشرف توفيق

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الثانية يناير ٢٠١٥

تصميم الغلاف: مروان محمد

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى على الرابط التالى:

/http://ebook-heruf.blogspot.com

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura٢٠١١@gmail.com

رواية

مَخْدُعٌ دَافِنشْىٌ

أشرف مصطفى توفيق

الجزء الاول

الفصل الأول

١

أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحة لا أعرف مَصْدَرَها ,كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن جمعتني بها دراسَةُ القانون، بعد أن سيطر القانونُ الْفرنْسي على منطقتنا بما يُعْرفُ - بِالْقُوَّةِ النَّاعِمَة - قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى يمشى ملكا !جمعتْنا قليلا قاعات الدَّرس وكثيرًا الصُّدَف !! أنا فِي مِنحَةٍ دراسيَّة قصيرَة أبحث عن صحيح النَّص الْقانونيِّ (ظاهِره وباطنه) وهي مغربية فِي دراسَة مُعَادِلَة لِتَعملَ كَمحاميَّة بفرنسا.

هِيَ تبحث عن مكامِن ضَعْفِ النَّصِّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أخرُج عليه بِحُجَّةِ ضَمَان النِّظام واستمرار حركَة المجتمع وهِيَ تتحايل عليه، تلاعِبُه لا مانع عندها من الإفْلات من قسوته، فهيَ لها أيضًا مصالحُها،والغريبُ أنَّ النَّص يسعُنا ويعطِينا ولا يتمَلْمَل! ولسْنا إلا وَسَائِل لِيُجْرِيَ الْقَدرُ المشيئَة - مَنْ يُدانُ ومَن يُفلتُ.؟!

منذ لقائنا الأول ..هل تتذكرى لقاء نا الأول؟! كنتُ أرتدى حسرة أمنيات تزورني دوما فى الخريف وكنتِ ترتدي لون البحر،شئ ما دفعني إليك كم من المرات

استدرجتني الانطباعات الأولى الى ما لم أتوقعه أو أتخيله لكنني لا أتعلم وأطيع ما تنبئني به انطباعاتي الأولى.فجرت حب فضولي وأيقظت فيُ الرعشات التى تهز؟! دخلنا لبعضنا برضا واتفاق وكانها كانتِ تنتظرنى على موعد ولقاء..

منذ حضوري لجامعَة ليون احتوتني وكأنَّهَا فِي الانتظار، كانت وحيدَة "مقاطعة"من الدارسين الْعرب، لأنها لا تضع حاجزا بينها وبين الدارسين اليهود؟! دخلت إليها، حنينها كساني جنونا،فسرت لي موقفها الْمختلف؟!

قالت بعبارَة واحدة : كلنا دارسين لا فرق بين جنس أو عقيدَة أو جِنْسِيَّة لسنا محاربين؟!.

ثم أوضحت التّفسير" الفرانكفونى" للموقف (لليهود فِي فاس حيهم الخاص وللوصول من بيتنا إليهم لا بد من نصف ساعَة بالتّمام واليهود يشبهون سائر النَّاس فِي ثيابهم الطويلَة الشّبيهَة بجلابياتنا وهم يضعون قبعات بدلا من الْعمائم وهذا كل شيء وهم منصرفون إلّى أعمالهم ويلزمون حيهم ومنظمون جدا وإحساسهم بالطائفَة أكثر نموا من إحساسنا، يصنعون حليا بديعَة!! وتصنع النِّساء محفوظات من الخضار بالخل وقد حاولت أمي أن تفعل مثل ذَلِكَ بالْكوسا والخيار والْباذنجان الصَّغِير لكنها لم تنجح قط !! أتعرف كيف وصلوا إلينا فِي مراكش.ومتى؟ كان ذَلِكَ أثناء احتلال أسبانيا حول الأمويون الأندلس إلى جنَة وارفَة الظلال وبنوا قرطبَة وأشبيلية.ولحق اليهود بهم. لماذا وكيف؟!لا أعرفي قد يَكُون السبب الرَّئيسي أن الأمويين الْمسلمين عصبَة من محبي الفرح، الخلي الْبال، والذين تلهوا ببناء القصور منها

القصر الخرافي الذى يسمى"الحمراء"، قضى العرب فِي الأندلس سبعمائَة عام وهم يلهون بتلاوَة الشّعر وملاحظَة النَّجوم فِي حدائقهم وكانوا متسامحين إلى حد أنّه لم يكن يعرف ما ديانَة الجار؟ وكان النَّاس يُغَيِّرون عقائدهم كما يغيِّرون قُفْطَانَاتهم! ويوما استفاق الأطلس العربي لنراهم يغدون علينا بالمئات العرب واليهود وهم يصرخون من الخوف ومفتاح بيتهم الأندلسي بيدهم؟! كانت تطاردهم ملكَة مسيحية متوحشَة خارجَة رأسا من الثلج اسمها "إيزابيل" لقد ركلتهم ركلَة حقيقية وقالت لهم: إما أن تصلوا مثلنا وإما أن نرميكم فِي البحر؟لكنها فِي الواقع لم تترك لهم وقتا ليجيبوا!! وألقى جنودها جميع النَّاس فِي البحر المتوسط وسبح العرب واليهود حتَّى طنجَة (إلا الذين أتاح لهم الحظ أن يعثروا على سفينَة) وأسرعوا إلى فاس ليختفوا فيها (كل ذَلِكَ قبل أكثر من خمسمائَة عام) إيزابيل الكاثوليكية طردت المسلمين مَعَ اليهود لأنهم لا يصلون بالطريقَة الَّتِي تصلي بها؟

..أتريدني أن أفعل ما فعلثه "إيزابيل"؟! ألقى فى البحرمن لا يصلى للكعبة؟!)

قلت: ليس مابيننا وبين الإسرائليين (الدين) أو كيف نصلى وإنما ارض وعرض، وجهاد، ودم كثير لشهداء،عاشوا معنا وكم احببناهم.

قالت: ومتى ينتهى ميراث الكراهية؟!

قلت: بالأتفاق على الحقوق،والحدود،والأمن،والامان

قالت: ماجاء به السادات العظيم ،لم يعجب العرب!

ما أوجع الشّهوَة الّتِي يواجهها أكثر من مستحيل،وأكثر من مبدأ وأكثر من خلاف فلا يزيدها ذَلِكَ فِي النَّهاية،إلا.. الاشتهاء!

فكيف احترمت خلافنا؟عقلين متوازيين فكيف حدث التّماس بين القلوب؟ أكان ما بيننا زلّة قدم. أم زلّة قدر؟! ففى يوم مطير، كان يومي العاشر فِي الغربَة ووجدت لديها الشّمْس الدافئَة، فِي هَذَا اليوم عبر الفرنسيون فِي (الميديا: الصحافة والتليفزيون) بانزعاج عن ماقام به الشّهيد الفلسطيني (ساهرحمد الله) بقيادته سيارَة مفخخَة اتجهت صوب مستوطنَة "ميحولا"على بعد ١٥ كم من نهر الأردن، فانفجرت بين حافلتين عسكريتين إسرائيليتين، وصف الفرنسون العمل بالإرهاب؟ وكنا نحن الدارسين العرب نحس بنشوة الفرح والبطولة.. كنا نحن وهم كما يقول المثل الصينى "سرير واحد وحلمان"وهو مثل يشير لأختلاف البشر فى الأفكار،فلم يحلم رجل وزوجته ابدا على الفراش بحلم واحد! ..ففى الوفت الذى غير فيه الفلسطينيون طرق النضال من الطوب للرصاص،كنت اغير طريقتى فى العشق للطريقة للفرنسية؟

وبالطبع كلتا الطريقين وجدا معارضة؟!فكما بدل الشافعى فى فقهه عند نزوله لمصر،بدلت إجتهادات العشق بفرنسا،اليس الأنسان أبن بيئته كما يقول علماء الإجتماع !

أَسْمع رقرقَة الْمِياه الَّتِي كانت بفعل موتور صغير بالحوض.. حوض السمك الْمُلَوَّن حيث أجلس. سجائري (مينتول) بلونها الأخضر بمكانها على الْمِنْضَدَة بجِوَار شَنْطَتِي الصَّغِيرَة، الَّتِي بِهَا أوراقي والْبسبور. أشعلت واحدَة قلل فخاريَة تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلَوَّن بلَوْن جوف الْفُخَّار...تنبَّهْت أثناء الْعَشَاء إِلَى أنَّ نصف زجاجَة النَّبيذِ على وشك الانتهاء فاسْتعمَلْتُ الْجرس الصَّغِير الْموجود بجوار طفايَة التّبغ لنداء النَّادل،تحرَّكت الكورَة الْمعدنيَّة بداخله بحركة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتٌ أحضر النَّادلَ، وألهب الذكريات.. "علَّمَتْني كيف أُحب النَّبيذَ وكيف أشربه؟! ومتى يَكُون أحمر؟! ومتى يَكُون أبيض؟ النبيذ الأحمر مع اللحوم والأبيض مع الأطباق الأخرى. احترمت أني لا أشرب الخمور- ووجدت هوايا فِي فتوى لأبي حنيفَة بعدم تحريم النَّبيذ؟!"

حيث اقعد، توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة " الكأس المقدسة " أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة عن طريق الكاتب الفرنسي Chrétien de Troyes) الذي ادعى أنه أخذها من كتاب حقيقي أعطاه له رئيسه الكونت Philip of Flanders.

أَشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ ?! كويتية محمرة الوجه وكانها خارجة من حمام مغربي مع فتلة الوجه ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة

تخفي معالم الأنوثة منها،بوصولها لطاولة بجوارى يهللن لها الشابات الجالسات عليها، فى بشاشة وحبور ويبدوعليهن لهفة انتظارشيئا ما؟!

فتعاجلهن قبل جلوسها فى ابتسامة،بقولها : شريط الزفة ما زال عالقاً،هاانا ذي احطم الرقم القياسي ببلوغى الليلة الرابعة بعد زواجى دون أن يمسسنى العريس؟! "بالأمس ارتديت قميص نومى السكري الذي ارتديته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتى، مثيرة به إعجاب والدتى التي تذكر الله خشية الحسد. خرجت من الحمام لاجده نائماً ومع أنى أكاد أجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عينانا للحظة خاطفة! إلا أنى صرفت وساوس إبليس"

يضحكن فى دلال ويقلن: لم يمسه بعد جن فرنسا؟! غيرى لقميص نوم بلون فاقع.. ونصحنها أن تبدأ بالأزرق!

هل تأتى معشوقتى الحلوة ؟! ولكن متى تأتي الصُّدف بما يشتهي الْعناق! وكيف لا.. ونحن فِي فرنسا؟! ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد الَّتِي حولها فرنسيَّات بِدُون رجال! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لهاتداعِيَات خَاصَّة،الْفُرجَةُ والْبحْلقَةُ أكثرُ إثَارَة.. الْمَكَان بزُجاجِه الْملَوَّن وبديكوره الْبسِيط يُوحِي كما قُلْت بِأزمنَةٍ أسْطوريَة، كِتَاب كولن ويلسون (جُذورُ الدَّافِع الجنسي) بين يَدَيْ فرنسيَّة فِي الثَّلاثِين يتجسَّد وهِيَ مُستغرِقَة فِي صفحاته تتململ تركَتْ كِتابَها،

عَيْناها ترمِيَان من الْمجْهول إلَى المجهول!!سيقانها تلقى التحية من جيب قصير لتايير ازرق،الهذا نصحن العروس بالأزرق!

غلاف مجلَّة لامرأةٍ عَاريَة فَرَشتْ رَمْلَ الْبحر ونامت والتحفت بالشَّمْس إنَّها نَاعومي عارضَة الأزياء. فأيُّ زيٍّ تَعْرِضُ وهِيَ "بلبوص"بالبحر على غلاف جريدة،قد يكون العقد الماسى والحلق الطويل؟! مِشْكاوَات متناثرَة هُنَا وهُناك. ضوء أزرق وديع يخرج من نمانم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي هُنَا .. وهُنَاكَ .. أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شقَّافَة، هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بركَة مُتَّسعَة تتوسَّط الْمَكَان ذكَّرتْني بيوم غازلتُها من هذا المكان **(بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُور الْجنَّة استفسرت؟!..كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بُحَورٌ من عسل، قهْقهت وأشارت إلَي شفتها السفلى هل أجد فيها علامَة خروج آدم من الْجَنَّة؟! لم أفهم ؟! فشرَحتْ لي أنهم فِي الْمغرب يعتبرون(الأشرم) من النِّساء ذات الشفة الْمشقوقة، امرأة ساخنَة لا تهدأ رغبتها؟! وأنَّها قامت بعمليَّة تجميل اتِّقاء للشُّبُهات!! ولكنها تركت ندبَة بشفتها السفلى.)** .. وجدتُ نفْسِي أُقَبِّلُها ركَّزْت على الشَّفَة السُّفلي عند مكان النّدبَة أرغب أن تتحقق فتنَة الأسطورَة !كنت أدور فِي فلكها مجذوبًا بقوَّة هائلَة، كأنَّها الشَّمْسُ وكأنني الأرض.اعتدلت وقتها فِي خجل وأشارت أن اكف؟!

قلت : كنت فِي الْجنَّة أنا مثل أبي الأوَّل آدم .أنها جينات الْغوايَة!!

ابْتَسمتْ وهي تُغَمْغِم بالفرنسيَّة.: أنا لست بقايا الْجنَّة، أنا بقايا الْحريم؟ كانت بوَّابَة بيتنا تفصل حريم النِّساء عن غرباء الشارع، وكان شرف أبي ارتبط بهذا الْفصل كان بوسع الأولاد عبور الْبوَّابَة بصعوبَة أما النِّساء الْبالغات فلا؟! حَلِمَ جميع النِّساء أن يَهمْنَ على وجوههن بحرِّيَّة فِي الشَّوارع، وكانت حكايَة "الْمرأة الْمجنحَة" الَّتِي تستطيع أن تطير من الْفناء متى شاءت كلما رُوِيَت فِي الْمغرب.. كانت النِّساء يُعلِّقْن أطراف قفاطينهن بزَنَانِيرهن ويأخذن فِي الرَّقْص..وقد مددن بين أذرعهن وكأنهن ينوين أن يطرن !وقد بذرت ابنَة عمِّي"نوَّارَة" الَّتِي بلغت السَّابعَة عشرَة الاضطراب فِي ذهني عندما أفْلحَتْ فِي إيهامي أنَّ للنِّساء أجنحَةً غير منظورَة، وأنَّ أجْنحتي ستطلع عندما أكبر!هَذَا ما استطعت عليَه صبرًا من فرنسيَّتِها الْجميلَة.. أما باقي ما قالتْهُ كان غريبا وأخذتْه إجمالا ؟! وكان يدور حول عدم اعتقادها بأن تكون الْجنَّة مخلوقَة الآن! قالت: بل الله يُنشِئها يوم الْقيامَة،خَلْقُ الْجَنَّة قبْلَ الْجَزَاء عَبَثٌ غير واقِع على وجه الْحكمَة؟!)

وجدت العروسُ الكويتية عند رأسي.. جذبتني قالت: أنت، يا أنت هل بالبنطال بُقَع ظاهرَة فِي الخلف! أم صحيباتى يعبثون؟

الْتَفَتُّ أنظر.. وكانت مستمرَة فِي الكلام بعصبيَّة.. وهِيَ تُدير لِي نفسها فأراها من الخلف، عجيزَتُها كورَة تنضح بنضج وأنوثَة يا لها من عجيزَة فرنسيَة جمعت بين الْعجرفَة واللُّطف، يكاد الْغريب مثلي أن يحس بطَرَاوتِها وشِدَّتها معا بالنَّظر الْمُجَرَّد. عذرتُ فِي هَذَا الْوقت اللُّوطيِّين، فهل هُم مَن

يَأْتُون الرِّجَال دون النِّساء – أم هم من يأتون النِّساء مِن هَذَا الْمَوْضِع؟! أطلتُ النَّظرَ وقد بدا أنَّ الأمر جَدِير بالْبحث فِي فرنسا.. أليست أرض النُّور والحرِّيَّات!! استدارت معتدلة .. كانت حانِقَة ومُتَبرِّمة.عند تبين بقع حمراء؟ وانصرفَتْ بقامَتِها الهَيفاء كانت فِي عينيها نظرَة تلقي إلي الظمأ،والتأفف معا،شعرت بخجل وصديقتها يصحن عليها: شريط الزفة سيستمر عالقاً خمسة ايام آخرى؟!

استعملتُ الْجرس الصَّغِير الموجود بجوار طقَّايَة التَّبغ لنداء النَّادِل تَحَرَّكَت الْكورة الْمعدنيَة بداخله حركَة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتًا ..ولكن لم يحضر النَّادل!! لحظتُها..انكسرت أشعَّةُ الضوء وشعرت بِهَا المغربية السمراء الافوكاتو "زبيدة" وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارع الْممتلئ بلا ترهل, رائحتها فِي عبق الْمكان، أهي حقيقَة أم رغبَة لا تكف عن الْمثول. أشعر بأصابعي بين أصابعها فِي عناق حارٍّ! أهي ثورَة النَّبيذ الذي طلبته !! أم حمى الخيالات الَّتِي لا يَكْبح جِماحَها الْعقل، في مشد صدر أصغر درجتين عن مقاسها !! فترجرجا رمنتاها هَذَا التّرجرج اللذيذ..

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة مرَّة أخرى أمامي لا أعرف كيف تظهر لِي؟! إنها فِي لهوجَة دائمَة .جاءت لمنضدتي ؟! وجدت السجائر، وشعالَة النَّار الْقديمَة، أخذت واحدَة دون استئذان

قالت: منتول، نعناع .. ألا زال موجود هَذَا التّبغ السيئ!! .. أطفأتها .

: مسيو، هل أنت مسلم ؟

اجيب : نعم .

: اريد أن أضيف إلى بحثى عن جذور الدافع الجنسى "الحجاب" من وجهَة نظرك هل أوجده المسلمون لمقاومَة الشَّبَق الدُّكُوري لديهم؟ أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا؟! أتُساعدُنِي فِي ذَلِكَ

: لا.. فالامر يهم النساء غطت وجهها أوعرت ساقيها

هى: لماذا؟ اعتقدتُ أن الأمر يَرُوقُكَ! يمكن أسوِّي الأمرَ معك بمكأفأة فالإسلام بعيد جدا عن اهتماماتي، وبخَاصَّة أن "الحجاب"؟! مختلف الشّكل بينكم إني أحيانا لا أرى من المرأة غير عينيها؟! ،

أنا: لأنَّك مجنونَة .. أن تبحثي في "الحِجَاب أو النِّقاب" داخل دراسَة أكاديميَة عن الدَّافِع الجِنْسِي فِي الجَرَائم الجِنْسِيَّة؟! أن الحال وضع دينى! ما يَرُوقُنِي البحث عن تلك الجذور، عند "عاريات الجسد" فى فرنسا- !

أخذتْ سِيجارَة أخرى..دون استئْذان أيضًا .. أشعَلْتُها ..انْصرفَتْ وهِيَ تدخنها..

المكان المَكَان بزُجَاجِهِ المُلَوَّن وبِدِيكُوره البَسِيطِ .يوحي بأزمنَة أسطوريَة مشربيات بالأرابيسك المتداخل عاشق ومعشوق ..مِشْكَاوات متناثرَة هُنَا وهُنَاكَ ....قلل فخاريَة تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلوَّن بلَوْن جوف الفخار فترى كل ألوان قوس قزح. النِّساءِ بالمكان منَ الجنسيَّات العربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِ والحِشْمة، مع تدرُّج مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر،أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟!

أوإطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! الْفُرجَةُ والْبحْلقَةُ أكثرُ إثَارَة ؟!

اتذكر انى عرفت المكان منها اثناء مُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع الْعِقَابِي).. تحدثت باختصار عن نص م١٧ في مصر وكذا م٥٥ فِي إيقاف التَّنْفيذ . كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة .. كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي عرجاء عَلَّق الْمُحاضر (جارودي مارسل): ليس الأمر متروك للقاضي فالْمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَباتِه فالسُّلطَة التّقديريَة * للقاضي هُنَا سُلطَة وَقَائِع لا سُلْطَة مُطلَقَة. ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الاجتماع وعلم النَّفس، وليس الْقانون وحده. فالأوراق الْجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الْحالَة تتحدث عن ظروف الْجاني بيئته، معتقداته فهيَ تَهْتمُّ به قبل وقوع الْجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الْماء إلا فِي درجَة ١٠٠ فِي حين أن الْغليان قادم مُنْذُ درجَة ٩٨ ولو لأتفه الأسباب.؟؟ .. هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي ؟ إنّ الْقتل يأتي من مجرد انعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالَة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص الْقَانُونِي يتحدث عند وقوع الْفعل لا قبله ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الْحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين ؟!

أثناء ذَلِكَ تركت الدَّرْس، قالت لِي وهِيَ تنصرف: نتقابل فى الكاس المقدس؟! فلم تكن المحاضرات فى علومها ،ولكنا

كنا نتردد على كل انواع الدرس بسهولة داخل الجامعة. كانت شُعلَة من سعادَة تحظى بحريَّة، وتذعن لسنن فوق مَدَاركي.. وقتها حين التقينا همست بأننا فى البقعة السحرية بفرنسا! وحكت لماذا؟!"فهناك سلالة من الحراس لحمايتها دعوا أنفسهم حراس الهيكل بعد أن اختفى الكاس المقدس !!وكان يقال ان دم المسيح المتساقط من صلبة.. حملها الرامي فى كاس وذهب بها إلى بريطانيا وهناك أسس للعثور على هذه الكأس وعلى هذه القوة الاعجازية هدف فرسان الدائرة (فرسان المعبد) التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس.وفي فرنسا انتشرت هذه الأسطورة بصورة كبيرة وكتب عنها الكثيرون في صورة رموز وألغاز وأسرار، وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح، وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد القيامة مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها، إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا حيث ما يتوهم انة هنا فى هذة المنطقة طبقا لخيال الكتاب وأسسوا هنا بجنوب فرنسا سلالة ملكية تحمل دم المسيح المقدس، هي الميروفينجيان "Merovingian's،

جاء النَّادِل،قدَّم الْفاتورَة معتذرًا بأن ورديَّة عمله انتهت أشعلت سيجارَة مينتول.. لبست نظارتي الطِّبِّيَّة، نظرت فِي الْحساب (نصف زجاجَة نبيذ نصف دجاجَة مشويَّة , ميَة أخرى من النَّبيذ، ١٢%ضريبَة ،١٠% خدمَة) لمحت الْفَرَنْسِيَّة تغادر الْمَكَان مَعَ أستاذتها الْعجوز الْبدينَة،التى

طلبت منها الدخول بالبحث بالحجاب عند المسلمون؟! التَقَت الْعيون.. النِّنِّي فِي النِّنِّي، فأخرجت لِي أصبُعُها الأوسط من خلف ظهرها!!وحركته فى حركة لاتليق بأناقتها وجمالها ! دفعت الْحساب بلا تحسُّر على غير العادَة ..فلم يكن ضمن الْحساب امرأة لزوم ؟

٢

لماذا اعجز عن الإفلات من يومياتى المضجرة؟!هل هو الندم أو السعى لتوبه دينيه نصوح!! رأس مثقف،وقلب فلاح، وأقدام متسكع، يختزل فرنسا بمقهى ومسرح وبار أو سرير؟بعيون طارئ و بلسان فرنسي معوج ليدرس القانون كيف حدث الأمر معى! ما كنت أمشي معها في الشارع العام،وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى أصرخ مبتعداً عنها

: مجنونة،نحن في الشارع العام، قد يرانا الناس!!

تفول: تلفت نظر الناس، عندما تبتعد عني، إنهم لا يرون شيئا. لا أحد ينظر إلينا، لو تابعت السير بهدوء.

وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، وأنسى العيون الغريبة، ابحث عن باب أول عمارة نمر قربها، كي اجذبها الى داخلها، واقبل شفتيها، واتحسس صدرها.

بداية كنت مضطرب، وبمرور الوقت، تعودت،وصارت تمشي الى جانبي وعيناها تبحثان معى عن أي مكان يمكنني فيه، أن اقبلها وأتحسسها..

ولكني لم اتوقع هذه اللحظة؟! ففى لحظة من أَجَلِّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرَّ الْوجود الأعظم!
اتذكر.. فأكبر لذةٍ بعد ممارسة الحب هي الحديث عنه.. فنحن لا تنام مع النساء نحن تصحو معهن.فالناس نيام فإذا جاء الجنس انتبهوا؟

(حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد؟!وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ! !قالت: اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطْوى؟! الْهمت النَّفْسُ الْفجورَ، فسبحان من ألهمها فُجُورَها وتقواها. أيقظت حسي بالعُريْ الْمُبْهج، الفائر، الناعم..كل كُؤوس الْحياَة الْمُتْرعَة بخَمْر الأحزان والأحلام، نشوَة ..كآبَة .سَكِر الْقلب الذي لا يراع ..الْموقف تعدى الْملاطفَة..قالت: أبدأ فِي الْوصول لأحلى أوقات جنونك؟! ماذا بعد الأعمال التّحضيريَة. أعُدُول أم أمُمْكِن أن يتراجع رجل الآن؟)

كيف تراجعْتَ يا يوسفُ كيف أيُّهاالصِّدِّيق.. أقاوم حارسي الدَّاخلي؟ولا شهود على تعذيب سجان ؟هي - أريد أن أراك كجورب مقلوب ؟! أنا - هَذَا لن تحتمليه.. داخلي

مسكون بالحزن والخوف القديم! هي - ولماذا لا يَكُون بداخلي أيضًا ؟!

أنا - أأفعل ما أخاف ؟

هي- افعل ما تحب، أنت فِي أحضاني، ألا يبرُك هَذَا الْجمل الْعبيط!

كانت تعتبرنى من اعراب الصحراء

قالت - ألَمْ تسمع نجيب محفوظ فِي (السَّرَاب) وهو يقول "أعظم واجب فِي الدنيا أن تلاعب فتاةً جميلة تحبها"؟! أنت (ظاهرَة مُنَافيَة للطَّبيعَة) أن تسعى لهدف، فإذا أصبح بين يديّكَ تركتة؟ انسبت كيف كنت تطاردنى فى الكلاس؟!وتحضر دروسى وهى مختلفة عن ماتدرس؟! فأنت من سدنة الحكومة تكيل الإتهامات للبشر،أنا لوير حرة تدافع عن البشر،أنت تريد أن تحمى الدولة من ضعف الإنسان ،وأن اطبطب على هذا الضعف واحميه من استبداد الدولة المهين،أنت وثنى أمام تمثال القانون، أن مرتدة عن عبادة وثنك،؟! فالقانون الذى يصنعة بشر،ويعدلة بشر،يجب ان يخالفة البشر؟!

أنْهَت الْفلسفَة جمال اللَّحظَة ؟! كانت تعرف أني أُحِبُّها، أُعْجِبتُ بِهَا سَعَيْتُ إليها.. فرفضت أن أكون عاشقًا مهزوما! قامت فِي غلالتها الْحمراء الشّفافَة .. تألّقت أنوثَتُها حين انتصبت. وضعت يَدَها بيْن فَخِذَيّ.. وكأَنَّهَا عاهرَة بالسَّليقَة ؟! ضَحِكَت. اسْتَمَالتْنِى . فنزعتها.. وهبَبْتُ وَاقِفا مُنْهيًا الْحالَة برُمَّتها .لاحَظْتُ خُمُود نَهْدَيْها من الْفَورَان وكأَنَّهَا أُخِذَت على غِرَّة بِعِنَادي؟! فتحسَّرْت من التّردُّد، لم أفعل بنصيحَة

شجرة الدر"الْملِكَة الْمملُوكِيَّة": إياكَ إياكَ.. والتردُّدَ يا أيْبَك التّردد؟!.

الْعَقْل يَتَمَادَى فِي جُنون الْحُزن حين تَسْطَع اللَّدَّة حتَّى تعانق الألم كانت فِي عيوننا دموع الهزيمَة؟!دموع فرسان الْمماليك وهِيَ تنطلق بسيوفها فتقتلها مدافع نابليون بدون قتال، لم يكن الأمر بطولة لبونابرت، ولكنه مُجَرَّد فروق التّوقيت، بين الْمدفع والسيف، بين الْجَمَل وبَنَات الأَطْلَسِي!!

قالت: أنشرب الْقهوة.. فأنا أعرف قراءَة الْفنجان !!

قلت: لا تعبثين. فليس لِي غيب محوج .

- أنا امرأة من الْحريم يا سيدي. لا توجد امرأة فِي (فاس) لا تقرأ الْبُن؟! وما حدث، يحدث دوما مَعَ حالتِك ؟!

- أأنا حالة؟!

- وأنا لستُ قَحبَة، من قحبات طنجة!

- وأنا لست عِنِّين !

جَلَسَتْ والشَّوق فِي عَيْنَيْها تتأمل فنجاني الْمقلوب.. قالت:.. (يا رجلي لا تجزع. فالعِشْق فِي فِنْجَانك مَكْتُوب؟ فِنْجَانُك كُلُّه نساء لكن نساءك بلا نُهُود، ولا فُرُوج ألا توجد فِي حياتك امرأة هي الْمسك، والورود؟! رجل بلا رغبَة تشعله رجل مَوْءُود!) ضحكت،نظرت لِي فِي تَشَفٍّ قالت – ألست ذا مآرب فِي السمراء والْبيضاء والسوداء ، ألك فِي الْغلمان ؟! إنها تَنْتَقِم بأُنُوثَة جرحها التَّرَدُّد.. فَضَحِكَت بلَوْن أَصْفَرَ. استمرَّت:(الْبُنُّ يقول إنك مَفْتُون،الصحراء لا تختبر الْجِمَال إذا فجرت الْعيون؟ ولكن الْجِمَال لا تملك الأفتنان بغريزَة

الفضول؟ جسدك مصاب بالخرص. وأنا لست الْبتول!! قاوم ضمور الْجسد.) كانت تصهل كَمُهرَة.. فعرفت أنِّي مقتول؟!

قالت: أيها الْجمل الصَّحْرَاوِي،ألا زِلْتَ تتحمل الْعَطَش. اشْرَبْني عاهرَةً شِئْتَ .أو جاريَةً! خُذْني محظيَّة..أو موهوبَة ..أو سبيَّة!

كان داخلي يَهْمِس متى يأتي سيِّدُها بالْباب؟!..ففي فرنسا لا يتدخل أحد. وهِيَ سيِّدَة الْمواقف ..امرأة بلا زوج، ولم تصبح أُمًّا، وأشْعَلَ حُبَّهَا رغبتُها. داخلي يهمس لا توجد محاذير فِي الْقانون الْفَرَنْسِي؟! ولا ثغرَة .. راجعته .. وهو فِي حالَة الرِّضَا يترك الأمر !!

قالت: أنا مِمَّا ملكت يمينُك ...أنا مِمَّا ملكت شمالُك؟!

داخلي يهمس، هل تهزم امرأةُ الْعزيز هذه اللَّيلَة؟! أنا مسحور، ذائب وهِيَ تضع رِجْلَيْها فِي الْماء.. وتتكحَّل! والوقت بين النَّشوَة والغثيان. سكاكين النِّساء لم تفرق بين الأصابع والثُّقَّاح من جَمالِ سَيِّدِنا يوسف! والعُشَّاق لا يسألُوْن عند اللِّقَاء عن الْحرام والْحلال !!. يوسف مسجون بداخلنا يفسِّر الأحْلام للْعَاصِينَ ؟ وَضَعَتِ الْفِنْجَان. وسكنت.. ضمَّتْني. جَمعَتْ أشْلائي..نساء الفنجان يَنْتحِرْن ؟! قد ماتت كل نساء الأرْض وبقيت هِيَ بفنجاني... قالت : أحِبُّكَ

ففارت وسامتي!! قدَّت قميصي من دُبُر وَمِن قُبُل..فقددت غلالتها. لم أستعصم !! أخذت أسلحتي.. نزعت أقنعتي.. أذاقتني طعم الْحرق .. وطعم النَّار.؟! استكانت وسمِعْتُ لها زَفِيرا.. بَانت فانْتَفَضَت تَغْتَسِل .. وبنت فطفقت

علي الْغِطَاءَ .. أعجبت بِهَا ..سَعَيْت إليها .. وأعرف خاتمتي وانتهيت.

الْقَدَر يعمل إرادته.. فهل يَضُرُّ فِعْلٌ مَعَ إيمان؟! فهل نشاء إلا ما شاء اللّه؟! أيُسعِفني الأشَاعِرَة..أم يُدِينُنِي الْمُعْتَزلَة؟! أمكتوب فِي الأزل الْغيبي..أم النَّص الْمُقَدَّس بافعل ولا تفعل؟! لم يكن ممكن لآدم أن يعمل بالأمر.. والْمشيئَة كتبت أن تكون حياتُه بالأرض؟! يا لها من إشكاليَّة مَن يُنْشِئ الأفْعال؟

خرجتْ من مِعْطَسِها بالْبرنس وجدتني فِي ملابسي بدون اغتسال!

قالت: لماذا لم تلحق بي ..ألا تعرف طقوس النِّهايات! فاتك الْحَمَّام الْمغربي، فاتك أن أُجَرِّشَكَ- ألا تعرف سحر الْحَمَّام الْمغربي؟ راحَة ما بعد الانتهاء!

لم أكن أعرف وقتها إلا عذاب آدم. أحبها، أكرهها، ولكني دوما أشتهي وصلها.. أنا فِي حالَة إدمان وكأنها "ذنباً، سألت اللّه ألا يغفره"ولكنها غفرته وغابت؟! فالبهجة مرة واحدة..وبعدها أما النسيان والندم،أو التكراروالجحيم والضياع هكذا ضاع الرومان وهكذا انتهت امبراطوريات فى الشرق والغرب !! إنة الإدمان**

---

* ففي قديم العهد عندما تكون هناك معركة وينتصر فيها المسلمين يكون من بين أسرى العدو الكافر سبايا من النساء يقال سبيت النساء سبياً وسباء ، ووقع عليهن السباء وهذه سبية فلان: للجارية المسبية وتقول خرجت السرايا فجاءت السبايا والسبي ما يسبى والجمع سبى والنساء لأنهن يسبين القلوب،يسبين فيملكن ولا يقال ذلك للرجال لأن الغالب تخصيص الأسر بالرجال والسبي بالنساء والجمع سبايا وترى" فاطمة المرنيسى" فى كتابها السلطانات المنسيات" أن معنى السبي اصطلاحا لا يكاد يخرج عن التعريف اللغوي السابق،وكذلك في التفريق بين السبايا والأسرى فالسبايا هم الصبيان والنساء الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء والأسرى هم الرجال والمقا تلون إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء كذلك وأساس نشأة السبي

وجود النساء والصبيان في ميدان القتال،ووقوع الأسر على الجميع ومن هنا أيضاً تساق النساء أسيرات، فيصرن بعد القسمة في أيدي المحاربين ولما كان الشأن الغالب أن يقتل بعض أزواجهن ويفر بعضهم الآخر حتى لا يعودوا إلى بلاد المسلمين، كان من الواجب على المسلمين كفالة هؤلاء السبايا بالإنفاق عليهن ومنعهن من الفسق، لأن من المصلحة لهن وللبيئة الاجتماعية ،أن يكون لكل واحدة منهن - أو أكثر - كافل يكفيها هم الرزق،ولذا يدافع الامام الكستانى،والامام محمد أبو زهرة والشيخ الشعراوى عن الإسلام بإيضاح أن: الإسلام ما فرض السبي ولا أوجبه ولا حرمه أيضاً ، وإنما أباحه لأنه قد يكون فيه المصلحة حتى للسبايا أنفسهن ومنها أن تستأصل الحرب جميع الرجال من قبيلة محدودة العدد مثلاً ، فإن رأى إمام المسلمون الكفء أن الخير والمصلحة في بعض الأحوال أن ترد السبايا إلى قومهن جاز له ذلك ، أو وجب عملاً بقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وكل هذا إذا كانت الحرب دينيه فإن كانت الحرب لمطامع الدنيا وحظوظ الملك ، فلا يباح فيها السبي.] وتحول بعض الخلفاء والحكام والأغنياء من المسلمون ،بداية بعهد بني أموية وبني العباس ، إلى حياة جديدة فبإشراق أسارير الدنيا عليهم ، ولتمكنهم من أطايبها بما نالوا من ثراء عريض ، فقد اقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه، يشبعون نهمهم من لذاتها، وما أتاحت لهم الفتوح أن يحظوا ببنات الأعاجم ، وقد أتينهم مأسورات ، فأسرن قلوبهم بجمالهن. فشيدوا القصور،تحيط بها الحدائق الغناء،وازدحمت بها الجواري والسراري، من نساء الروم والفرس والترك ،وأسرف البعض في استعمال ذلك بل وتعداهم إلى حياة المجتمع والأسرة،ولكن دون مراعاة لروح الشريعة الإسلامية ،وذلك عن طريق الشراء،حيث لعبت النخاسة دوراً هاماً في انتشار ذلك في محيط المجتمع الإسلامي،والإسلام برئ منه وهو مخالف لروح الشريعة بلاد جدل وليس من الإنصاف أن نحمل الإسلام تبعات ذلك ، و ما استتبعه من إنعكاسات سلبية، أدت إلى تفكك كيان دولة الإسلام ، وروابط المجتمعات والأسر الإسلامية .وإذا ذهبنا إلى العصر الأموي والعباسي، نجد أن هناك تحولاً طرأ على نمط الحياة وانتقال إلى طور جديد ، أخذ فيه بعض الخلفاء ينعمون برخاء كان ممتنعاً عليهم في عهد الخلفاء الراشدين .

ارتفع قدر الجواري عندهم لدرجة أنه بلغ ولع بعض الخلفاء بهن أن شغلته عن أمور الدولة ، ولأن البعض منهم لم يكونوا قدوة صالحة ، فقد أثر ذلك سلباً على مجتمعاتهم ، وأصابها ما أصاب بعض أولئك الخلفاء من ولع ،وجاءهم الجواري بضروب من الغناء و الطرب وفنونه . ففي مكة والمدينة ظهرت أول طبقة من المغنين ، فألفوا من ألحان الفرس والروم ألحاناً جديدة. وقد شاعت شهرة الكثيرات منهن بحديثهن الممزوج بالأدب والفكاهة والشعر ، فهذه

دنانير تخرجت في المدينة ،ثم حملت إلى بغداد ،وأخذت عن ابن جامع، واشتراها يحيى بن خالد البرمكي ، واسمع الرشيد غناها ، فاشتد إعجابه بها ووهبها عقداً قيمته ثلاثون ألف دينار،

وبعد قتل الرشيد البرامكة دعاها إليه وأمرها أن تغني ،فقالت له : يا أمير المؤمنين أني آليت أن لا أغني بعد سيدي أبدا فغضب وأمر بصفعها فصفعت، وأعطيت العود فأخذته وهي تبكي أحر بكاء، واندفعت تغني :يا دار سلمى بسارح السند .. بين الثنايا ومسقط اللبد .. لم رأيت الديار قد درست أيقنت أن النعيم لم يعد...فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها، وهذه عنان جارية للناطفي ينشدها شاعر فيقول: وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفس في أحشائه وتكلما، ويطلب إليها الشاعر أن تجيزه فأجازته قائله: ويبكي فأبكي رحمة لبكائه.. إذا ما بكى دمعا بكيت له دما وهاتان جاريتان من "مولدات اليمامة " يعرضان على المتوكل بحضوره وزيره الفتح بن خاقان ، فنظر إليهما وقال إلى أجملهما : ما أسمك ؟ قالت : سهاد ، فقال لها : أنت شاعرة ؟ قالت : هكذا يزعم مالكي ، قال : فقولي في مجلسنا هذا شعراً ترتجلينه وتذكرينني فيه، وتذكرين الفتح بن خاقان، فتوقفت هنية ثم أنشدت: أقول وقد أبصرت صورة جعفر .. امام الهدى والفتح ذي العز والفخرأشمس الضحى أم شبهها وجه جعفر.. وبدر السماء الفتح أم شبه البدر فقال للأخرى أنشدي ، فقالت: أقول وقد أبصرت صورة جعفر.. تعالى الذي أعلاك يا سيد البشروأكمل نعماه بفتح ونصحه.. فأنت لنا شمس وفتح لنا قمر. فأمر بشراء الأولى ورد الأخرى ، فقالت له لم رددتني؟ قال : لأن في وجهك نمشا ، فقالت: لم يسلم الظبي على حسنه .. يوما ولا البدر الذي يوصف..الظبي فيه خنس بين والبدر فيه كلف يعرف فأمر بشراء الثانية .

وكذلك عريب جارية عبد الله المراكبي صاحب مراكب الرشيد ، وكانت نهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب وإتقان الصنعة والمعرفة بالأنغام والرواية للشعر والأدب ومنهن فضل وعلم وقد نشأت في المدينة وتعلمتا فيها الغناء وحملتا إلى الأندلس فاشتراهما عبد الرحمن الداخل الأموي وجاريته قلم الرومية ، وقد أرسلت صبية إلى المشرق ، وتعلمت في المدينة الغناء وحذقته. ومنهن العبادية جارية المعتمد بن عباد، وكانت أديبة ظريفة شاعرة ، وقمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب أشبيلية،وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الألحان ، وقد جلبت من بغداد وجمعت أدباً وظرفاً ورواية وحفظا،مع فهم بارع وجمال رائع ومن الجواري من كانت تستعمل حيلة لوصال سيدها ، تدل على فطنة وذكاء من ذلك أن الملك عبد العزيز بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان أحب في أيام أبيه قينة حسناء وشغف بها ، فبلغ ذلك صلاح الدين الأيوبي فمنعه من صحبتها فحزن ولم يمكنه أن يجتمع بها، ومضى على ذلك عدة أيام فسيرت إليه مع خادم كرة من العنبرفكسرها فوجد فيها زرا من الذهب ، فلم يفهم مرادها ، فجاء القاضي الفاضل فدفع إليه الكرة وسأله أن يعرفه ماذا تعني، فقال القاضي في الحال : أهدت إليك العنبر في وسطه زر من التبر رقيق اللحام .فالزر من العنبر تفسيره .زر هكذا مستترا في الظلام

وما لفت نظري هو قول الجاحظ : كان ميل العرب للإماء أكثر من الحرائر لأن الجمال في كثير من نساء هذه الأمم المفتوحة أوفر، والحسن أتمّ فقد صقلتهن الحضارة وجلاهن النعيم، ولأن العادة أن لا تُنظر الحرة عند التزويج بخلاف الأمة، لذلك صار أكثر الإماء أحظى عند الرجل.. قالرجل قبل أن يملك الأمة قد تأمل كل شيء منها وعرف ما خلا خطوة الخلوة فأقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة، والحرة إنما يستشار في جمالها النساء، والنساء لا يبصرن من جمال النساء حاجات الرجل ومواقفهن قليلاً. والرجال بالنساء أبصر قد تحسن المرأة أن تقول أنفها كالسيف وعينها عين الغزال، وعنقها إبريق فضة وشعرها العناقيد، وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض. ومن أقوال العرب الأمة تشترى بالعين وترد بالعيب، والحرة غل في عنق من صارت إليه؟!.. وفي ذلك يقول الإمام السيوطي : في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الديوان وأدخل الفرس في الديوان،واستولت الديلم ثم الأتراك وصارت لهم دولة عظيمة وانقسمت الممالك عدة أقسام،وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهروكان، من مظاهر التنازع على السلطة وتنافس أمهات الأولاد على عهدة الخلافة إثارة الحقد بين الإخوة ، وكيد بعضهم لبعض وإقدام الأخ على قتل أخيه أو على قتل أبيه

ونجد في الدولة العباسية ثبتا حافلا من خلفاء عظام ولدوا من الجواري، أولهم المنصور ثاني خلفاء بني العباس، فقد كانت أمه جارية تدعى سلامة. وكان للخليفة المهدي عدة جوار شهيرات مثل رحيم التي رزق منها العباسة، والخيزران أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد أعظم خلفاء الدولة العباسية. وكانت أم المأمون جارية تدعى مراجل، وكان المعتصم بالله والواثق والمستعين والراضي والمستكفي وغيرهم من خلفاء بني العباس جميعا من أبناء الجواري. ونجد بين خلفاء الأندلس عدداً من نسل الجواري، مثل عبد الرحمن الناصر أعظم خلفاء الأندلس فقد كانتأمه جارية أسبانية نصرانية تدعى ماريا، وكذلك هشام المؤيد بالله، فقد كانت أمه (صبح) الشهيرة (أورود) وهي جارية نصرانية بشكنسية (نافارية) لبثت زهاء عشرين عاماً تسيطر بنفوذها على حكومة قرطبة، .

طقس كان يتم فى التسعينات فى فرنسا كل ٤ سنوات يجتمع الآلاف من المسلمين القادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدول العربيةعلى مدى أربعة أيام يلتقون خلالها بالشخصيات الإسلامية من مختلف البلاد الأوروبية والإسلامية يتحدثون عن قضاياهم الراهنة وعن إسلامهم وفي الوقت نفسه تكون مناسبة لمسلمي أوروبا، وفى وقت حكم ساركوزى ابطل هذا الطقس ،وكان لا يسمح للمساجد بصلاة التراويح فى رمضان!

الفصل الثانى

١

على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّةعلى مدى أربعَة أيَّام – كل ٤ سنوات - يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم وفي الْوقت نفسه تكون مناسبَة لمسلمي أوروبا..وفرنسا بشكل خاص للاطلاع على آخر الإصدارات من الكتب والأشرطَة الْمُسَجَّلَة الَّتِي تشرح وتُوَجِّه وتدعو إِلَى التَّمسُّك بالْممارسات والتطبيقات والتعليم الديني،وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا"وهو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ "الإسلام فِي فرنسا" حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي

.....

.....

يطمئنوا إلى أهدافهم فشعار هَذَا العام يدل على أن الاتحاد لا يريد من المسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم كانت فرصة ساقها القَدَر (أربعَة أيام) للإطلال على المسلمين خارج ديار الإسلام . هكذا أعلنت الفكرَة لزوجتي بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر العلاقَة مَعَ (زبيدَة) المَغْرِبيَّة، ابنَة مَرَاكِش، الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا المتبادَلَة حدَّ العِشْق.

كان هَذَا الأمر مؤثِّرًا على علاقَتِي بزوجتي ساد بيننا صَمْتٌ مُطْبق واستمر أكثر من أسبوع فقدت خلاله طريقي إليها، بل ضاع مني مفتاح مدينتها! الحقيقَة أن هَذَا العشق الجديد أدخلني مدن الأحزان.وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إلى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الغُربَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة.(زبيدَة) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولمَّا كُنْت فِي الحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء ..أصابني العطَب وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف. كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إلى حضن. كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة،وألعب سياسَة فِي العشق ؟! من الواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال العمر؟!

اجْتاحت صالاتِ العُرُوض هَذَا العام بجانب الكُتب والكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُطالب بتبرُّعات لِبناء المَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها؟! فكان التَّركيز أكثر على التَّبرُّعَات

وفتح المدارس الإسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق القانون الخاص بِمَنْع ارْتِدَاء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي المدارس،ومقصود بـه الحجـاب بالنِّسْـبَة للفتيـات وذلـك بهـدف إعطـاء الفتيـات المسـلمات الفرصَـة ليـتعلمن بـدون أن يضـطررن إلـى أن يخلعـن الحجـاب وفـي المُقابِـل صـدر قـرار سِيادِي لــ (دي فيلبان) وزير الدَّاخليَّة الفَرَنْسِي- بتعليم وتكوين أئمَّة المساجد فِي فرنسا فِي (جامعَة السوربون) ويبلـغ عدد هؤلاء الأئِمَّـة نحـو ١٢٥٠ إمـام مسلم فِـي فرنسـا، وبرنـامج تدريب الأئمَـة يقـوم أساسـا علـى تعلـيم اللُّغَـة الفَرَنْسِـيَّة،ومبادئ القـانون، والنظام السياسي الفرنسي، والتاريخ الفرنسي، وثاني خطوَة تقدم بِهَا دي فيلبان هي تشكيل رابطَة إسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم العلاقات بين المسلمين فِي فرنسا والسلطات الرَّسميَة الفَرَنْسِيَّة،ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبَرُّعات والأموال من فرنسا والخارج لرعايَة شُئون المسلمين فِي فرنسا بشرط أن تكون تحت سمع وبصر الدولة؟! وبذلك يَكُون (دي فيلبان) قد منع تمويل المساجد من الخارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا .واعلن بأن ذلك لمواجهة الارهاب فهناك اسلاموفوبيا بين الفرنسيين؟!

وسط كل هَذَا المشهد الدِّينِي تَأْتِي خواطر مضْطَربَة، أحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتي:

"عندما هممت أن ألحق بِهَا فِي المغطس وجدتُ أوراقا منفصلَة من كتاب أجهله عَلَيْهَا تعليقات منها وجدتُها على أرضيَّة الحُجرَة. كانت الأوراق مكتوبَة بالفَرنْسِيَّة والتعليقات

غامِضَــة متكــررَة تنتهــي بعبــارَة: كســرتَ قُلَتــي؟! رأت الْقصاصات بيدي؟! فعلَّقتْ: لغتُك الْفَرَنْسِيَّة أصبحت جيِّدَة ...

" عندما أوشكت على الدِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنهــا أحاطــت خصــري بســاقيها وهِــيَ تقــول :لا..لا.. ابــق.!!"ولكنى اعتــدلت وقمت..فتأففــت وقامــت خجلــة تستحم؟!!

أأنـا الأوَّل أم مجرد عـابر سرير؟ همهمت مَعَ نفسـي .. أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حبك فِي شكل خطيئَة؟! مـا أجمل ما حدث بيننا، مـا أجمل الَّذِي لـم يحدث، مـا أجمل الَّذِي لـن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا.

كيف ينظر أتبـاع الدِّيَانَات إلَـى الْمسيح ؟ ... هَذَا السُّؤَال أجـاب عنــه تقريـر قُـدِّم للمـؤتمر فِـي اليـوم الأوَّل..وكشـف التّقريـر أن الْمسـلمين هـم الأكثـر تـوقيرا لشـخص الْمسـيح، والأكثـر إيمانـا بمضـمون رسـالته الَّتِـي بُنِيَـت علـى الْمحبَّـة والتَّسَامح، بينما يرى أتباع الْبوذيَّة أنـه شقيق لـ"بوذا" رغم التّفاوت الزمني والجغرافي بينهما ؟! وهو يقتـرب أيضـا من موقف الديانَة الهندوكيَّة أمَّا اليهود فلا يرونه بكل هَذَا الْجلال والتَّـوقير فقـد ألصـقوا بـه صـفات بَشِـعَة ونعتـوه بأوصـاف وألقـاب مُشِـينَة؟! الْمسـلمون يؤمنـون بالْمسـيح كنبـي يسـبق محمد – صـلى الله عليـه وسلم - زمنِيًّـا وأنـه رسـول الله جـاء بالإنجيل،وبالنِّسْبَة لليهـود كانـت نظـرتهم التّاريخيَـة الْقديمَـة للمسيح ولا تزال كمُخَلِّص ومُنْقِذ للبَشَرِيَّة وإن كانوا يعتقدون أن الْمَسِيحَ لـم يـأتِ بَعْـدُ وهـم ينتظـرون مجيئـه؟! والنَّظْـرَة

الْمُتَطَرِّفَة لبعض اليَهُودِ والَّتِي تُخالف ما جاء بالعهد الْجديد "الإنجيل" عن الْمسيح فهم ينظرون إليه بشكل شديد الْقسوَة، ويرون أنه لم يولد من عذراء لم تتزوَّج ؟! ويَتَّهمون زُورًا مَرْيَمَ الْعذراء بأنها استسلمت للغِوايَة؟! وأنَّ الْمسيح اكتسب بعض الْقوى السِّحريَّة الَّتِي مكَّنَتْه من أداء بعض الْحِيَل الْمَاهِرَة !!

وَيَزْعُمُون أيضًا أنه شنق وأُخْفِيت جُثَّتُه لِيَتِمَّ اكتِشَافُها بعد ثلاثَة أيام .الْمسلمون ينظرون باحترام شديد وحب للمسيح على الرَّغم من إيمانهم بأنَّ مُحَمَّدًا هو آخرُ الأنْبِيَاء، فهم يُقَدِّسون الْمسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيًّا وليس ابنا لله - فالله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ كما يؤمنون بالْمُعْجزَة الَّتِي أتت بميلاد السيد الْمسيح ولا يشكون مُطْلقًا فِي طَهَارَة وبتوليَة السيدَة مريم الْعذراء وأن معجزَة إلهيَة كانت وراء ميلاد السيد الْمسيح دون وجود علاقَة بشريَة بين السيدَة مريم وأي رجل، كما أنهم لا يتشككون فِي صعود الْمسيح إلَى السماء ..بل إن معجزَة الْكلام فِي الْمهد للمسيح لم يُثْبِتُها إلا الْقرآن الْكريم !؟ وينتهي التّقرير إلى سؤال ناعم كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات الأُخْرَى إلَى نبي الإسلام مُحَمَّدٍ (صلعم) ؟!

السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة: قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان "السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة" جاء فيه : ما معنى الأرثوذكسيَة ؟ هَذَا هو السُّؤَال الأوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع . وبخصوص معنى هذه الْكلمَة "أرثوذكسيَة" فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل،وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها

الْقـواميس والْموسـوعات، لكنهـا فِـي نهايَـة الأمـر تعنـي بالْمختصـر الْمفيـد السـلفيَة..ولأن كلمَـة "سـلفيَّة" ذات وقـع إسـلامي وجـرس عربـي فصـيح حـين تفـرِّق بين"السـلف والخلـف" أو بـين الأوائـل والأواخـر، أو بـين الْمُتَقـدِّمين والْمتـأخرين ولأنهـا تـرتبط ارتباطًـا وثيقـا بتـاريخ الْعقائـد الإِسْـلامِيَّة وحاضـرها باعتبارهـا اسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف،ولأنها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة الْعربيَّة لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الكلمَـة بمنطوقها ومعناهـا اليونـاني فيقولـون:الروم الأرثوذكس.والأرثـوذكس السريان.والأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح "السلفيَة" لصـالِح الاستخدام الْغربـي أو الأمريكـي تحديدا..فإنَّـه لـم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الالتّـزام بالتّعـاليم الأساسيَّة، أو الْعـودَة إِلَـى الأصـول، وإنمـا غـدا عُنوانـا لـدعوَة للعُنْـف والتَّطَـرُّف يَنْعَـت "السَّـلفيَّة الإِسـلاميَّة"بالتَّخلُّف والعنـف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرور والْعِبَر، ورغم أن بعض الْغرب انتسب إِلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنه لم يلتزم بالقدْر الْمُقْتَرض من الْحَيْدَة والْمَوْضُوعِيَّة؛ لذا فإنـه كـان فِـي مُجْمَلـه بمثابَة صحيفَة ادعاء أشد حِرصًا على إدانَـة الْمُتَّهم. خطـورَة ذَلِكَ التّوْظيف اللُّغَوِي أنه يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرِقَة بين معتدل ومتطرف!! الأمر الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته وهو معنـى يُـرَوِّج لـه الْبَعْض بإشـارات مُتَبَايِنَـة الآن فِـي فرنسـا ؟!ولأن الْعَمَلِيَّـة بـدأت كمحاكمَـة تكلـم فيهـا الادِّعـاء وحـده حتَّـى بـدت الظـاهرَة الإِسْـلامِيَّة كأنَّهَـا من مواليد حِقْبَـة السَّـبْعِينَات الَّتِـي شـهدت ظهـور عـددمن الْجماعـات الْمتطرفَـة (التَّكفيـر والْهجرَة،والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء

الإسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَدلين:كجمال الدِّين الأفْغاني،ومحمد عبده ،ورشيد رضا.

تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين,كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا ؟! كانت التّركيبَة النَّفْسيَّة للْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل, اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهم.

جاء..اليَوْمُ الثَّاني وهو يوم اهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛ لِذَا اهتم الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابس وعرضوا الْملابس الإسْلامِيَّة للسيدات "دعوَة وير" أو ملابس الدعوَة فاحتلّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون "أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربها - مُتَرفِّعَة عن الْفتنَة". كانت زوجتي قد

أوْجدت لِنَفْسها نشاطا مَعَ أخريات وهو تعليم ربَطات الْحِجَاب, لأكْتَشِفَ أنَّ الْمرأة الْمُسلمَة صنَعَت عَالَمًا من الْموضَة فهُنَاكَ الرَّبطَة الْمِصريَة،وهُنَاكَ الْخَليجِيَّة، وهُنَاكَ الرَّبطَة باستعمال نوعين من الْقُماش. والغريبُ أنَّ النِّساء كن يعرضن على الْفرنسيات الْمسيحيات بسذاجَة تجربَة ارتداء الْحجاب!! والفرنسيَّات سعيدات بالتَّجْربَة ويتَصَوَّرْن فوتوغرافيا بالْحِجَاب!! تمامًا كتجربة التّصوير للسياح عند الأهرام بالعقال الْعربي فوق الْجَمَل،وحينما أبدت بعض الْفرنسيات رغبَة فِي شراء الْحِجَاب،تعاونت النِّساء الْمُسلماتُ فأعطيْنَه لهُنَّ هَدِية ولم يَنْسيْن أن يقولنَّ : إنها هدِيَّة فِي الله !!

لا أعرف كيف ظهرت وسط ذلك..الْفَرَنْسِيَّة الْملهوجَة كثيرَة الْحركَة والقلق والَّتِي أخذت آخر سيجارَة من سجائري الْمنتول وعلَّقَت وهِيَ تُدَخِّنها فِي نَهَمٍ بعبارَة: ألا زال موجودًا هَذَا التّبغ السيئ ؟ ثم كيف أنسى لها أنها أخرجت لِي أصبعها الْوسطى من خلف ظهرها !! فكَّرتْني زوجتي حينما قالتْ أنَّها باحِثَة فرنسيَة مَسِيحِيَّة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) والإسلام وأنها أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنها "كثيرَةُ الرَّغْي"وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري "سِيبَوَيه" الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها؟؟ ولكنِّي أخذتُ ثأري بتحويلها على جزائري ذو لحيَة كثيفَة، ليلْتَقِم بطريقَته من تَدخُّل الْغرب،وبخَاصَّة فَرَنْسَا - فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين أجهضه تدخل الْغرب!!لأرد عَلَيْهَا أصبعها الْوُسطى الَّذِي أخرجتْه من خلف ظهرها !!

اليومُ الثَّالث بدأ اليوم بِمُهَاتَرات بين الاتِّجاهات الإسلاميَّة بمـا يـوحي بـأن "الشَّـيْطان"عرف الْمكان..وبـدأ الْوسـواس بالسُّـؤال: لِمَـا نقـدم الدَّنيَّـة فِـي ديننـا؟ كانـت الْبِدايَـة مـن الْجزائريين وانضم لهم الْمصريون والإيرانيون. دون بـاقي الْجاليات الإِسْلامِيَة! لا يوجد إسلام فرنسي وآخر إنجليزي؟! يوجـد إسـلام واحـد ..الإِسْـلام لا يتلَـوَّن بلَـوْن الأرض؟! أن يَكُون عنوان الْمؤتمر "من أجل إسلام خـاص بفَرَنْسَـا" فهذا خروج عن الْمِلَّة؟!

وَأَدُ الْفِتنَـة محاضـرَة موضـوعها (مـا هـدف الشَّـريعَة الإِسْلامِيَّة ومحورها بل هدف كل الشَّرائع السَّماويَّة؟!) يقول الْمحاضـر: الـنَّص صـريح فِـي الْقرآن.. يقـرر بوضـوح أنـه الْعدل بناء على ذَلِكَ فإن النَّظر الإِسْلامِي الصـائب والالتـزام الأمين هو ذَلِكَ الَّذِي يمضي فِي التَّطبيق سـالِكًا طريق الْعدل والْحريَّة مبتدئ بمدارجه ومنتهيا إِلَى مقاصده، فقد ذكر ابن الْقيِّم فـي (أعلام الْمُوقِّعين):إن الله أرسل رُسُله وأنزل كتبه ليقُومَ النَّاسُ بالقسط، وهو الْعدل الَّذِي قامت عليه السماوات والأرض، فـإذا ظهـرت أمـارات الْحق، وقامـت أدِلَّـة الْعدْل وأسفر وجهه بـأي طريق كـان فثَمَّ شرع الله ودينـه ورضـاه وأمره.

وابن تيْميَة هو الْقائل: إن أمور النَّـاس تستقيم فِـي الـدُّنْيَا مَعَ الْعدل الَّذِي فيه الاشتراك فِي أنواع الإثم أكثر مِمَّا تستقيم مَعَ الظُّلم فِي الْحقوق وإن لم تشترك فِي إثم؟! واستشـهد بمن قـال:إن الله يقـيم الدَّولَـة الْعادلَـة وإن كانـت كـافرَة،ولا يقـيم

الدَّولَة الظَّالِمَة وإن كانت مُسْلِمَة..ثم قرَّر أنَّ الدُّنْيَا تدوم على الْعدل والْكفر ولا تدوم مَعَ الظُّلم والإِسْلام .

لم يُعجبْنَا بالطَّبع أن تكون الخُلاصَة أن الله يقيم الدولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة،ولا يقيم الدولَة الظالِمَة وإن كانت مسلمَة؟! رغم أن الدول الظالِمَة غير الْمسلمَة قائمَة؟! ولذا قال الْمُتحمسون: "اللَّهُ يفعل ما يشاء.." وقال بعض الْمتخصصين هَذَا رأي للمعتزلَة، يريدون أن يجبروا (الله) تجلى وتنَزَّه، على فعل ما يروه هم مثالي ؟!ولكنه لا يحيط به الإنسان علما.يملك الْقضاء والقدر، والعسر واليسر.. ويجعل ذلك كله فتنَة ليختبر النَّاس كذلك حدث خلاف حول الاستِشهاد بالْفَقيه الْحَنَفي "ابن عابدين" حين أفتى فِي حَلِّ نزاع اثنين على طفل أحدهما مسلم، والثاني غير مسلم حين حسم الأمر لصالِح غيرِ الْمُسلم لأنَّه ادَّعَى أنه ابن له. مُعْتَبرا أنَّ تنْشِئَة الطِّفل على حُريَة ولو على غير دِين الإِسْلام أفضل من تنشئته على الْعُبودِيَّة فِي ظِل الإِسْلام !! ولكني أُعجبْت به رغم قِدَمِه، فقد كان الرَّجل واعيًا بأهمِّيَّة قيمَة الْحُرِّيَّة عندما وَاجَه ذَلِكَ التّعارض بين الْقِيمَة والمِلَّة. عَادت الْفِتنَة بِوَرقَة عمل أثارت الْحَفِيظَة الْفَرَنْسِيَّة، الأمر الَّذِي جَعَل الأمْن يَظْهر بِقَبْضَة شديدَة. كانت ورقَةُ الْعَمَل تتحدث عن "الاسْتِشْراق ودوره ضِدَّ الإِسْلام" حيثُ أرجعت تاريخ الاستشراق فِي بعض الْبلدان الأوربيَّة إلَى الْقرن الثَّالِث عَشَر الْمِيلادِي، والسبب الرَّئيسِي الْمُباشِر الَّذِي دعا الأوربيين إلَى الاستشراق هو سبب ديني فِي الدَّرَجَة الأولى؛ فقد تركت الْحرب الصّلِيبيَّة فِي نفوس الأوربِّيين ما تركت من آثار مُرَّة عميقَة،وتَمَّ ربط ذَلِكَ باليونسكو.؟!

لِتُصبح مُفْتَريات اليونسكو على الإِسْلام،نار الله الْموقدة فما جاء فِي موسوعَة اليونسكو فى كتابب خرج عنه (تاريخ الْجنس الْبشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي) وفي الْفصل الثَّالِث من الْمُجلَّد الثَّالِث (الْحضارات الْكبرى فِي الْعصر الْوسيط) وهذه الْموسوعَة كَتَبَ فصُولَها جاستون فييت وفاديم الييف وفليب وولف وجان نادر،والفصل الْعاشر من هَذَا الْمُجلد خاصٌّ بالعرب وقد سَوَّدَ كاتبُه صفحات هَذَا الْفصل بمِدَادٍ هو مَزِيج من التّشْويه لتاريخ الإِسْلام والافتراء على سيرَة نبي الإِسْلام وخلفائه الرَّاشدين؟١. إنها مُحاوَلَة لإنجاز تاريخنا الطَّويل فِي نَيِّفٍ و٣٥٠ صفحَة؟! (جاستون فييت) الْمؤلّف الْفَرَنْسِي- فِي موسوعَة (اليونسكو) زعم أن الإِسْلام احتفظ فِي رُكن من أركان الْكَعبَة بالصَّنَم الرَّئِيسي للمَكِّيِّين ألا وهو الْحجر الأسود!! ويبدو أن (جاستون فييت)كاتب الْفصل الخاص بالإِسْلام كتب ما كتب على الأرجح وهو متوتر الأعصاب. فمن مزاعمه الَّتِي هِيَ أهون من أن يُرَدَّ عَلَيْهَا ادِّعاؤه أنَّ الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة حتَّى معظم الْقرن الأوَّل الهجري لم يكن لها وجود بالْمعنى الدقيق لهذه الْعبارَة؟! ويحاول الْكَاتب أن يُسْنِدَ زعمَه بأنَّ الْمظاهر الْفنِّيَّة للشَّريعَة لم تكن موضع اهتمام من جانب الْمسلمين، ومن ناحيَة أخرى ترتَّب على هَذَا وذاك أنَّ الْمسلمين اضْطرّوا إِلَى انتحال الْقدْر الْكبير من النُّظُم الإداريَّة والقضائيَّة من الْبلاد الَّتِي فتحوها، ثم يُوَاصِل الْمستشرق الْفَرَنْسِي افتراءه فيَدَّعي أنَّ مصادر الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة هِيَ الْقانون الرُّومَاني الْبيزَنْطِي والقانون الْفارسي السَّاسَاني وقانون التّلمود بالإِضافَة إِلَى الْقَوَانِين الدِّينِيَة الْخَاصَّة بالْكنائس الرَّاقيَة.؟!

"" ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

الإِسْلام كما تقول (موسوعَة اليونسكو) تركيب مُلَفَّق من الْمذاهب اليهوديَّة والْمَسِيحِيَّة بالإضافَة إِلَى التّقاليد الْقوميَّة الْوَثنيَة الْعربيَّة الَّتِي أبقى عَلَيْهَا كطقوس قَبَلِيَّة تجعلها أكثر رسوخا فِي الْعقيدَة؟!

- *""ونَصِيحُ بالرَّفض.""*

تَزْعُمُ موْسوعَة (اليونسكو) أن الإِسْلام لم يُنْصِف أهلَ الذِّمَّة وأنَّ الإِسْلام عَمِل على أن يظَلَّ الْوضع الاجتماعي للذِّمِّيِّين وضعًا سَيِّئًا مَهينًا، ويَسْتَدِلُّ الْكاتب بالجِزْيَة الَّتِي فُرِضَت ويرَاها ضَرِيبَة بَاهظَة أثْقَلت كَوَاهِل الذِّمِّيِّينَ ثم يَزْعُم أن ازدياد انتشار الإِسْلام بين الذِّمِّيِّينَ أدَّى إِلَى تناقص الدَّخل من هذه الضَّرَائِب

""ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

ويكون الْقرار الْجماعي السريع الرَّد على مفتريات (اليونسكو) ودائرَة معارفها ومحرروها من الْمستشرقين الَّذِين يغلب عليهم التّعصُّب،دون أنْ نعرف - كَيْف.. وَمَن ؟! أهو مُجرَّد تفريغ!كانت الخِطْبَة بالفَرنْسِيَّة ومع الصَّيْحات الْمُتَتابِعَة لنا، وكون الْمركز الرَّئيسي لليونسكو بباريس ردَّ فِعْله على الْمُتَفرِّجين من الْفرنسيين وقد قُوبِل ذَلِكَ بمُضَايقات فرنسيَة بَدَت طبِيعيَّة من الأمن بالتَّأكُّد من أوراق الإِقَامَة، وعدم وجود هِجْرَة غير شَرْعيَّة، وعمل الْكَارْدُونَات بِحُجَّة النِّظام!! الأمر الَّذِي أدى لمناقشَة بيننا.وكان للسوريين رأي عاقل يرى أنَّ فَرَنْسَا والغرب تقصد بالإِسْلام ممارسات الْمسلمين على الأرْض بينما نسوق لهم النَّصوص الْمُقَدَّسَةوالعقيدَة،وهذه طريقَة لا تُفيد لأنهم غير مُلْزَمِين بنصوص عقائدنا فإذا جاءت اللغة الْفرنسية فلْنَعِي أنَّنا نُدِير

حِوارًا ولا نُكلّم أنفسنا اعْجِب إمام المسجد الكبير "مسجد ليون" الَّذِي حضر المؤتمر بما طرحه السُّوريون فأعلن أنَّ مِن الكُتب المَعْروضَة، كتب تَرُدُّ على كل ما جاء فِي موسوعَة اليونسكو * وأنه قرأ بالأمس كتابا منها ل د/ صوفي أبو طالب عن فِريَة أنَّ الشَّرِيعَة مُسْتَقاة من القانون الرُّومَاني،وقدّم شابٌّ فرنسي (يُدعى جون جورو) اعتنق الإِسْلام من ٧ سنوات ليقرر بأنه سمح بتأسيس المعهد الفَرَنْسِي للدراسات الإِسْلامِيَة،وهو معهد يهتم بالرُّوح الموجودَة بالإِسْلام وليس بالشَّكْل كالحِجَاب والجِلْباب وبالتَّالي فهو أقرب للصُّوفيَّة وقال: بخاصَة، أننا أبناء مجتمع غربي تحكمه قوانين عَلمانيَّة وهذه الحالَة من الشّفافيَة والسماحَة هِيَ الأفضل لمؤتمر شعاره "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" التّصوف - فيما أعتقد - سفيراً حقيقياً للإِسلام مَعَ العالَم.

٢

فى اليَوْم الرَّابع أصاب القلق بعض الجاليات الإِسْلامِيَّة فِي باريس عندما صدرت مجلَّة (لوبوان) الفَرَنْسِيَّة وعلى غلافها رسم كبير زعمت أنه يمثل النَّبي محمد – صلى الله عليه وسلم- وابنته فاطمَة، وزوجها علي بن أبي طالِب؟! وتحت عنوان كبير"الحياة الحقيقيَّة لمحمد" فالرَّسم ممنوع

* اليونسكو- الاسم الموجز الَّذِي اشتُهرت به وهو الحروف الأولى للكلمات الَّتِي يتألف منها اسم المُنظمَة فِي اللغة الإنجليزيَة إحدى المنظمات التَّابعَة للأمم المتحدَة للتربيَة والعلوم والثقافَة .. تأسست فِي عام ١٩٤٦ لدعم التَّعاون بين الأمم عن طريق التَّربيَة والعلوم والثقافة، ولتعزيز الاحترام العالمي للعدل وحكم القانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسيَة .وهى تعمل على إنماء التَّبادل الثقافي بين الدُّول وجعل الأعمال الفنيَة والأدبيَة والفلسفيَة فِي تناول الشّعوب .

للأنبياء جميعًا فِي التّقاليد الإِسْلامِيَّة ولكن الْبعض قرر أنها ليست مجرد التّقاليد الإِسْلامِيَّة بل إن التّصوير محرم بالسُّنَّة!!حينما احتد الخلاف حول:هل الرَّسم كالتّصوير؟! تركتُ الْمَكَان وزوجتي لنشاط اجتماعي آخر للمؤتمر انضممنا له وهو "زيارَة الْمرضى الْمسلمين من جميع الْجنسيات بمستشفيات فَرَنْسَا" كانت مجموعتنا تتكوَّن من ٧ أشخاص أحدهم إيراني،علَّق تَعْليقا مُرَوِّعًا بالنِّسْبَة لِي ونحن فِي باص زيارَة الْمستشفيات وهو يقلب، ويبحلق، ويقرأ فِي نسخَة من مجلّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة

هل لاحظتَ الشَّبه فِي الرَّسم بين وجه الرَّسول ووجه الإمام عَليّ ؟!

نعم تكاد تكون الْملامح واحدَة فِي الْعيْنين والذقن،هل لهذا معنى ؟!

الرسم مدروس، ومجلّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة ليست سهلّة ولا خفيفَة إما أن يَكُون الرَّسام تأثر بالشيعَة الْغرابيَة * أو يريد أن يشير لنظريَّة أنَّ لكل نبيٍّ وصِيًّا **

تدخَّلت لِبنانيَّة فِي الْمجموعَة، وكانت أوَّل لِبْنَانِيَّة مُحَجَّبَة أراها حتَّى هَذَا الْوقت فِي فَرَنْسَا ؟! كانت ترتدي عبائَة أنيقَة تشم فيها رائحَة الْعنبر، وحِجاب زاهي الألوان، كانت بدون مكياج وبكحل خفيف فِي الْعيون .

---

* الشيعة الْعُرابية تعتقد أن بين الرَّسول محمد والإمام علي تشابه خُلقي، وخِلْقي . وصل إلى حد أن جبريل "ملك الْوحي" أخطا فِي توصيل الرِّسالة "الإِسْلام".. فبدلا من أن ينزل بهَا على الإمام علي جعلها فِي حضن الرَّسول محمد!!

** هي فلسفة دينية للشيعَة الاثنا عشرية تقوم على أنّة لكل نبي وصي .. وأن الإمام علي هو وصي الرَّسول محمد. وأن الأرستقراطيَة فِي قريش حالتْ دون ذلك؟! على تفاصيل أرجعت الأمر ليوم السقيفة بعد وفَاة الرَّسول الْكريم .

هذه أوَّل مرَّة تُرْسم فيها سِتَّنا فاطمَة كيف حدث ومن يجرؤ؟

!قلت: الرَّسم ليس فيه فحش أو تعريض، والفرنسيون لا نُعَامِلُهم بالنَّص الْمُقَدَّس لدينا،وهم يرسمون رموزهم الدِّينِيَة الْمسيح، ومريم الْعذراء والعائلة الْمُقَدَّسَة !!

تلقَّيْتُ الْعِتَاب من الْعُيون حتَّى عيون زوجتي . وقف الْباص أمام مستشفى لعلاج السَّرَطَان، كان معنا هدايا رمزيَّة، بدا تلقين الأُمَّهَات لصِغَارِهن عن كَيْفِيَّة تقديمها للمرضى بابتسامَة، تلقى الصَّغِير "علي" من أمه الْمأمُوريَة باستعداد مُرضِي، كان هُنَاكَ تعقيم قبل الدُّخُول عبارَة عن كيس نايلون يُلْبس على الْحذاء وجونتي فِي اليد، الأطفال اعتقدوا أنها لعبَة الألَمْ واليَأس فِي عيون الْمرضى، لكنه عند مُرَافِقِيهم أضعاف مضاعَفَة؟! وجودُنا مَعَ الْفرحَة فِي عيون الأطفال وهم يقدِّمون الهدايا خفَّف كثيرا، النِّساء فِي الْمجموعَة لهن وقع السحر، فبينما الرِّجَال فِي صمت، كن هن فِي حركَة وثرثرَة وقُدرَة على تجاوز محنَة الْمرض الخبيث !! التّنوع فِي نساء الْمجموعَة من حيث اللغات والجنسيات جعلهن يعملن فِي تناغم، زوجتي تحتضن زوجَة مرافقَة لزوجها الْمريض،وهو ضابط مصري من الْمَظَلَّات لا أعرف كيف تستدعي زوجتي النَّص الْمُقَدَّس فِي حديثها فيكون نسمَة، بلسم شفاء، بردا وسلاما !!

-الْمؤمن مصاب.. ومع الْعسر يسر . ثقي فِي شفاء الله.

-إنه يَنْقص كل يوم ١٥٠جراما، إنه بطل رياضي وليس مجرد ضابط عادي.

اللّبْنَانيَّات يُدِرْن مَعَ المرضى أنفسهم الحديث بعُدُوبَة وفُكَاهَة ..لقد لغين من آذهانهن أنهم مرضى، فهل حروب لبنان الدَّاخليَة أعطتهن مَيْزَة الخِبرَة ؟! كن فوق الموقف بالنِّسْبَة للرجال المرضى الَّذِين بدون مُرافِقين، وَصَلْنَ معهم لِحَدِّ التّدَّليل ومُسَاعدَة المُمَرِّضات، والمُحايلَة لتناول الدَّواء والطَّعام وصل الأمر لحَدِّ العِنَاق والقُبلَة على الرَّأس والخد .قد يدخلنَ الجنَّة بفعلهن!! أعتقد ذَلِكَ ..فأنا نوع من البشر لا أرى إلا اللهَ الرَّحيم. المرضى الآن أفضل، لمعَة العيون فيها بَصِيص أمَل أيَّتُها المرأة ما سِرُّكِ ؟! لم يُسْمَح لنا ولم يكن لَدَيْنا كرجال نفس القُدرَة والهمَّة مَعَ المَريضات!! كان سُقُوط الشَّعر كَأحد أعراض هَذَا المرض جعلهن يرفضن مُجرَّد الزِّيارَة والسَّلام فانشغلت النِّساءُ بالنِّساء والرِّجال معًا.

النبى فى مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة:
تبدأ المَجلَة مَلفَّها بِالقول: لم يتردَّد اسمُ رَجُلٍ مثلما يتردد اسمُ مُحَمَّد، ولم يُؤَثِّر رجل فِي أَرْوَاح وقلوب هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْبَشَر مثلما أثَّر مُحَمَّدٌ .. اسمه يتردد يوميًّا على ألْسِنَة مليار مسلم حول العالَم، وحاليًا يُعد دينُ الإِسْلامِ الدِّين الثَّاني فِي فَرَنْسَا بعد المَسِيحِيَّة مِن المُستَحِيل تَحْدِيد الْيَوْم الَّذِي وُلِدَ فِيه مُحَمَّد يُقَال إنه ولد فِي مكَّة وقتَ حُكم المَلِك كسرى الأوَّل عاهِل الفُرس أي قبل عام ٥٧٩ ومن المُرَجَّح أن يَكُون قد وُلِدَ بين ٥٦٧ و٥٧٣ ويُؤَكِّد المؤرِّخون العَرَبُ كل ما حدث فِي مَكَّة

فِي عام الْفيل الشّهير الَّذِي من الْمُرَجَّح أنه كان عام ٥٧٠، فِي ذَلِكَ الْعَام كان مَلِكَ الْيَمَن أَبْرهَة يَسْتَعِدُّ للدُّخول إِلَى مَكَّة واستطاع تدبير جيش ضخم واصطحب معه فِيلا خارِقَ الْقُوَّة ثُمَّ تَوَجَّه إِلَى مَكَّة،وتَفْشَل حربُ أَبْرَهَة الْمقصود بِهَا الْكعبَة ذاتها بِإِرْهَاصَة تُشْبه الأَسَاطِير سَجَّلها الْقرآن فيما بعد،ولا تكتمل الْقِصَّة إن لم نذكر أنه عند دخول أبرهَة إِلَى مَكَّة وجد نفسه يُوَاجه رجلا قوي الْمِرَاس أَلا وهو عبد الْمُطَّلب الَّذِي حذَّر أبرهَة مِمَّا سيُلاقِيه إن حاول تدنيس الْكعبَة، وَكَان عبدُ الْمُطَّلب ذَلِكَ الرَّجل الشُّجاع هو جَدُّ الرَّسول مُحَمَّد .كان ابنه اسمه "عبد الله" وتزوَّج عبد الله من فتاَة من أسرَة كريمَة، وكان اسمها "آمنَة" ونتج عن هَذَا الزَّوَاج ولد واحد وهو مُحَمَّد، لكن عبد الله لم تُتَح له الْفرصَة لِرُؤْيَة ابنه ,فبعد زواجه بفترَة قصيرَة، وفي أثناء عودته من رحلته بسوريا تُوفِّيَ وترك لزوجته خادمَة كبيرَة السِّن، وخَمْس ناقات وجَنِينًا، وَيَقُول الْمُؤَرِّخ الإِسْلامي ابن سعد: إن آمنه قد سمعت صوتا يَأمُرُها أن تُطْلِق على ابنها اسم (أحمد) وتُوجد نظريَّة تقول: إن رجلا عربيًّا مسيحيًّا يتحدث الْيُونانيَة أشار على آمنَة بذلك لكي يتواءم اسم مُحَمَّد مَعَ الإنجيل، وفيه على لسان الْمسيح لأتباعه (إذا لم أتركم لن يأتي (الْبيريكليتوس) إليكم, لكن إذا تركتكم سوف يبعث إليكم، وبمجيئه سوف يفرض على الْعالَم الْعدل والْحِكمَة) * ومعنى كلمَة (الْبيريكليتوس) الْيُونَانيَّة أحمد أو مُحَمَّد أو محمود ,وبالطَّبع اعترض الْكثير من الْمسيحيِّين على هذه التّرجمَة وقالوا: إن الْمسيح تفوَّه بكلمَة مختلفَة وإن الْكَلِمَة ثُقِلت خطأ

* - قصد هُنَا ما جاء فِي إنجيل "برنابا" الَّذِي لم تعترف به الْكنيسَة ؟!

وإن الإنجيل لم يتنبأ قطُّ بمجيء مُحَمَّد .ومن جهَة أخرى قال أحد صحابَة مُحَمَّد "الشَّاعر حسَّان بن ثابت": كنت فِي السَّابعَة أو الثَّامنَة من عمري عندما سمعت فِي شوارع المدينَة رجلا يهوديا يصرخ بأعلى صوت مُنادِيا رفاقه فِي الدِّين، وعندما تجمَّعوا كلُّهم قال لهم(فِي هذه الليلَة بَزَغ نَجْمُ (أحمد) وهو نبأ مَوْلِده. وفِي سِنِّ السَّادسَة فقَدَ مُحَمَّد والدته أثناء عودتها من رحلَة إلَى المدينَة ,وانتقل مُحَمَّد ليعيش مَعَ جدِّه عبد المطلب الَّذِي تُوُفِّي بعدها بعامين ومع أبي طالِب سافر مُحَمَّد إلَى سوريا فِي عامه الثَّانِي عشر على رأس قافِلَة تجاريَّة،وعند وصولهم إلَى جنوب دمشق توقَّفُوا وكانت هذه المنطقَة مَقَرَّ وقوف الكثير من القوافل ومركزًا للكثير من المسيحيين،والتَقى مُحَمَّد براهب مسيحي اسمه (بحيرى) وهذا اللِّقَاء مذكور فِي القرآن فِي سورَة المائدَة* وتحكي المجلَّة بعد ذَلِكَ أن بحيرى طلب من مُحَمَّد الرُّجوع إلَى مَكَّة، ثم قام بفحص ظهره ووجد دليلا أقْنَعَه بنبوَّة مُحَمَّد فقال الرَّاهب لأبي طالب.(ارجع إلَى بلدك واحرص على هَذا الصبي من اليهود فوالله إن رأوه سوف يلاحظون ما لاحظته أنا ويضرُّونه ضررا بالِغًا .) ومن هذه النُّقْطَة يَتَّضح أن صلَّة مُحَمَّد بالمَسِيحِيَّة بدأت مُبكِّرًا .؟! هكذا تقول اللومند

تعوَّد مُحَمَّد على عادَة جديدَة وهِيَ ذهابه كثيرًا إلَى غار حِراء الَّذِي يُوجَد على بُعد عدَّة كيلو مترات من شمال شرق مَكَّة، حيث كان يتأمَّل "يتحنَّث"ويتعبَّد وتَصِف المجلَّة أيضًا كيف نزل على سيِّدنا مُحَمَّد ـ صلى الله عليه وسلم- الوحي. فتقول : وفِي يوم تمَّ تحديده على أنه يوم ١٩ مارس عام ٦١٠ م جاء إلَى مُحَمَّد القدَرُ المكتوب، ونزل عليه الوَحْي

* - لم أجد في تفاسير القرآن ما يشير لهذا المعنى، ولكن وجدت إشارات غير مباشرَة بالسورَة آيَة: ٨٢،٥٩،٤٧

الإلهي. حدَّث هو بذلك فقال: فِي ليلَة من الليالي الَّتِي كنت أقضيها فِي غار حِرَاء جاء إِلَيَّ جبريل ومعه كلام مكتوب وقال لِي: اقرأ ..ومن هُنَا وُلد الْقرآن، وقد طلب الْقرآن من مُحَمَّد الهدوء فِي تصرفاته والْحفاظ على حكمته وعدم التّعجُّل فِي قراءَة الْقرآن .

السم فى عسل مجلة (لوبون) ؟!:

من عام ٦١٠ م حتَّى ٦١٣ م كان مُحَمَّد رجلا يكتنفه الْغموض ولم يشكَّ أحد أنه قريبًا سيقلب موازين مَكَّة تماما وببطء كَوَّن مُحَمَّد دائرَة تكوَّنت من أربعين مُسلما تبعوا دينه الْجديد .مُحَمَّد أراد إعادَة تشكيل نظرَة مَكَّة إِلَى الله، وتوضيح أعماق الإيمان بالله وضرورَة وضع ذَلِكَ الإيمان فِي إطار فعلي فِي (الْحياة الْعَمَلِيَّة). ويقول (تور اندري)لقد أكَّد الْمسيح رسالَة موسى أمَّا مُحَمَّدٌ فقد أكَّد رسالَتَي اليهودوالْمسيحيِّين معًا . ولكن كيف يمكن إيجاد الصِّلَة الأصليَة بين قوم الْعرب وقصص الإنجيل ؟ عبقريَة مُحَمَّد تكمن فِي هذه النُّقطَة بالدَّات فسيِّدُنا إبراهيم هو الاسم الَّذِي يدل على هذه الصلَة؛ فقد أخبر الله مُحَمَّدا بالْحلقَة الْمفقودَة عندما أنزل عليه سورَة الْبقرَة. فبالتّالي لم يكن سيدنا إبراهيم يهوديا، بل كان حنيفا أي من أوَّل النَّاس الَّذِين اعتقدوا فِي وُجُود إله واحد لا إله إلا هو، أي من أوائل الْمسلمين. وزيادَة على ذَلِكَ كان إبْرَاهِيم والد سيدنا إسْحَاق أبا قوم اليهود. وهو أيضًا والد إسْماعيل من جد أقوام الْعرب (فبالتَّالي يُمثِّل مُحَمَّد صلَة فوريَّة بين إبْرَاهِيم والعرب). ولكن لله أسبابه فِي إعطاء كل قوم تعاليم تختلف عن غيرهم من الْقوم؟!،فمُهِمَّة مُحَمَّد الأساسيَّة كانت تتمثل فِي إعطاء الْعرب إرشادا

وتعاليم يتَّبعونها !!ولهذا السبب بعث الله بآياته لمُحَمَّد باللُّغَة الْعربيَّة، ولغَة عربيَة نقيَّة وفصيحَة. (بدى لى السم فى العسل فى الحديث عن عبقرية فكرة اخترعها الرسول لتقريب الدياتات من سيدنا إبراهيم؟!كمدخل للدين الجديد ثم القول بأن هذا الدين للعرب من ينطقون العربية؟!)

في الْفترَة من يونيو إلَى سبتمبرعام ٦٢٢ قام حوالي سبعون مسلم بالرحيل عن مَكَّة متوجِّهون إلَى الْمدينَة ووصل مُحَمَّد أخيرًا فيما يعرف "بحادث الهجرَة" ففي يوم ٢٢ سبتمبر عام ٦٢٢ م توجَّه مُحَمَّد إلَى الْمدينَة ومعه صديقُهُ وسَاعِدُه الأيمن (أبو بكر الصِّدِّيق) فِي رحلَة بهَا الْكثير من الْمَخاطر ووصل مُحَمَّد. وبدأت أعظم مرحلَة من تاريخ الإسلام مرحلَة الهجرَة، فمنذ ذَلِكَ اليوم عام ٦٢٢ بدأ نظام الشُّهور الهجريَّة الَّذِي يتبعه الْمسلمون وقد حاول مُحَمَّد إرساء علاقات طيِّبَة مَعَ اليهود والتَّقرب إليهم لكن اليهود لم يُعطوه الْفُرصَة فظلَّ مُحَمَّد على علاقاته الطَّيبَة مَعَ الْمسيحيين الَّذِين كانوا يمقُتون اليهود ويتَّهمونهم بأنهم قتلوا الْمسيح. لكن الَّذِي يظن أن مُحَمَّدا كان يحيا فِي غِنا ونَعِيم مُخْطئ فهو وأتباعه كان عليهم العمل جاهدين لتَوْفير سُبُل الْعَيْش فيُقَال أثناء وجود الْمسلمين فِي الْمدينَة كان علي بن أبي طالِب يحمل الْماء للمسلمين ويحصل على ثمرَة واحدَة من الْبلح على كل دلو من الْمياه يأتي به . وفِي عام ٦٢٧ فِي الْعام السَّابع من الهجرَة أصبحت الْمدينَة دولَة لها وضعها ووزنها ومن هُنَا بدأ الْمسلمون فِي اتِّباع التَّعاليم الْعَمَلِيَّة للقرآن وتطبيقها على حياتهم لِتُساعدهم فِي حياَة ناجحَة .وهنا وُلِدَ الْمجتمع الإِسْلامي (الأُمَّة) وبتحقيق مُحَمَّد للمكانَة والسُّلطَة فِي الْمدينَة لم يبق أمامَه سِوَى تحقيق ذَلِكَ فِي مَكَّة،

ففي مارس عام ٦٢٨ قرر مُحَمَّد التّوجُّه مَعَ المسلمين إلَى مَكَّة فِي موسم الحج لزيارَة الكعبَة لكن القرشيين منعوه من دخول مَكَّة وطالبوه بالتّوقف والعسكرَةفِي الشّمال بالحُديبيَة وهنا حدث صُلح بين المسلمين والقريشيين سمي (صُلح الحُديبيَة) نَصَّ على: ألا يدخل مُحَمَّد مَكَّة هذه المرَّة بينما يستطيع العوْدَة فِي العام القادم فِي مقابل إيقاف المَعارك بين المسلمين ومكَّة لِمُدَّة عشرَة أعْوَام وقد عدَّل القُرَيْشِيّون (أهل محمد) فِي المعاهدَة فشطبوا النَّص على نبوَّة محمد فيها !! وفي يوم ١١ يناير ٦٣٠ م دخل محمد إلَى مكَّة فِي سلام، وبعد حصوله على ولاء أهل مكَة توجه مرَّة أخرى إلَى المدينَة، وبعد أن تأكد محمد من أمن المنطقَة للمسلمين، عاد محمد مرَة أخرى إلَى مكَة من أجل الحاج وهو ركن مكمل فِي دينِه وألقى (خطبَة الوداع) فِي مارس ٦٣٢ م، وبعودته للمدينَة أصاب محمدا المرض، ومكث فِي بيت عائشَة الَّتِي كانت أحب زوجاته إلَى قلبه،وفي يوم ٨ يونيو عام ٦٣٢ م انتقلت روح محمد للرفيق الاعلى .

*انتهت الزيارَة،وفي الباص انفجر نساء المجموعة فِي حنق ويأس ودموع، سمعن أكثر، ورأين أوضح، وتألّمن أعمق. فالعلاج الكيماوي يضعف النَّظرويؤثر بشدَّة على وظائف الكبد، وكان موضوع فقد الإخصاب الأكثر تأثيرا!

زوجتي: بعد اللي شفته لسه حتدخن؟ !.ارمي الزفتة دي. كانت تقصد السيجارَة اللبنانيَّة: طيب والضابط المصراوي ده عمره ما شرب سيجارَة؟ وكان بطل رياضي فِي السباحَة،

* كل المذكور عن مجلّة (لوبوان) الفرَنسيَّة - مُترجَم بدِقَّة كما نشر، فليس فِي الأمر تصرُّف، أو خيال روائي.

وبيقفز بالْمظلات، الْقدر له أسبابه الَّتِي لا نعرفها. . كفانا الله شرَّه، ولطف بنا فيه.

الإيراني: لا يغني حذر من قدر؟ !

زوجتي: ولكن أين الْحذر لنحيل للقدر؟ إننا لا نأخذ بالأسباب لقد فكرتموني بعبد النَّاصر، وهو يقول لا يغني حذر من قدر، يوم النَّكسَة، وكأنه حارب ولم ينسحب جيشه!! على كل حال فأنا أفكّر فِي مُعاودَة الزيارَة، ومن يريد نسجل اسمه، وعنوانه، فلدي وقت فِي فرنسا. وتستمر: ألم تسمعوا أن الْبهجَة تقوي جهاز الْمناعَة، لقد كان الْفراعنَة يعتقدون بأن الإنسان يصل لأبواب الْجنَّة فتسأله الآلِهَة سؤالين بِهَا يقبل أم لا.؟هل شعرت بالْبهجَة فِي حياتك؟!هل تسببت فِي منح الْبهجَة للآخرين؟

٣

لم تنس زوجتي، الْباشا جدها - الَّذِي وزع أرضه عبد النَّاصر على الْفلاحين فيما يعرف - بالإصلاح الزراعي – فردت له أمر قديم وفي فرنسا! أحَتَّى الآن؟ ولا بأس أن تعرفنا بالْمرَة دراستها للفراعنَة والآثار.

قلت فِي حنق: ألا تمنحيني الْبهجَة وتتركيني أدخن !!

أتذكرها.. أين بهجَة "زبيدَة"؟ أين حضنك؟ أين حزنك؟ أين أيامي الَّتِي ضاعت مني قبلك؟ أين علامات الشّفايف الْحمراء فوق تبغَكَ؟!

وصل الْبَاص بنا إِلَى مكان الْمؤتمر. كانت مظاهر الصوفيَّة باديَة على الاحتفال، الْمغالاة فِي الْغيب، والذكر. الصوفيَّة هو علم الْحقيقَة وهو يقوم على أساس من الشّريعَة الإِسْلامِيَّة، وهو يتم تلقينه عن طريق الصلة بين الشّيخ والْمريد، وهي علوم مشاهدَة وذوق، ولهم لغَة شفَّافَة تحتاج لشروح حتَّى إن كتاب الْفتوح الْمكيَّة لابن عربي تم شرحه فِي أكثر من ٤٠ كتابا لمحققين مختلفين. وكلمَة صوفيَّة اختلف فيها فقيل: إنها من كلمَة "سوفيا" اليونانيَّة ومعناها الْحكمَة. . وقيل: إنهم أهل صُفَة مسجد الرَّسول الأول فِي الْمدينَة الْمنورَة، وقد كانت هُنَاكَ جماعَة تقيم فِي الْمسجد يعبدون ويقبلون على الله فإذا نادى منادي الْجهاد خرجوا محاربين عرفوا بأهل الصُّفَة. وفي الْمعنى الْعارفون بالله. وأخيرا قيل: إن الصوفيَّة من الصوف التّقشف والزهد فِي الدُّنْيَا. وفي أحوالهم يقول الإمام الْغزالي: "إنهم من تولى الله أمر قلوبهم. ففاضت عليهم الرَّحمَة وانقشع عنهم الْحجب وجاءهم علم من لدنه سبحانه". وكان مِمَّا طرق سمعي وأعجبني أنا وزوجتي حتَّى وصل بِهَا الأمر لتسجيله ما توارد أثناء الاحتفال من أقوالهم الْقديمَة: "الدُّنْيَا كنهر طالوت لا ينجو منها إلا من لم يشرب أو اغترف غرفَة بيده لا من شرب على قدر عطشه "فافهم". وكذلك ما قالَه أحمد بن مسروق: مَن تَرَك التّدبير فهو فِي راحَة. وسهل بن عبد الله: ذروا التّدبير والاختيار فإنهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّر له. وما جاء فِي وعظ قيل: لا يكن تأخر أمد الْعطاء مَعَ الإلْحاح فِي الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابَة فيما يختارَه لك لا فيما تختارَه لنفسك، وفي الْوقت الَّذِي يريد، لا فِي الْوقت الَّذِي تريد. وقول الشّيخ أبو

الْحسن: اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضرر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذَلِكَ من حيث لا نعلم بما لا نعلم؟ ؟ وعن أهميَّة الدعاء وأنه مخ الْعبادَة قيل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ عَبْد يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا". وعن الاعتماد على النَّفوس والأعمال وأنها من علامَة الشّقاء والْبؤس "فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى: واذكر ربك إذا نسيت، فسبب التّعب هو ذكر النَّفس، والاعتناء بشؤونها، وأما من غاب عنها فلا يلقى إلا الرَّاحَة. وفي هَذَا قال صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحدكم الْجنَّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته". وزعوا علينا أوراق النَّهايات، كما يحدث فِي ختام الْمناسبات، كان فيها التّبشير بفقه الْغربَة، فقه الضرورَة، فقه الأقليَة، وشعرت معها بالغربَة واحتياج الْمسلمين لوطن أصلي لا وطن غربي بديل. تمسكوا معلنين مسلمين فِي أوراقهم، بمبدأ الْمجتمع الْمحتشم، ويعتبرون أن الاحتشام هو الأصل والقاعدَة فِي الْمجتمع الإسْلامي ، وأن الْفصل بين الْجنسين لا أصل له فِي التّعاليم !! وإنما هو سلوك نابع من التّقاليد، بالتّالِي فإن الْمحاضرات والندوات والعمل تتم بمشاركَة من الْمجتمع دون حائل أو عازل، ودون خلوَة بطبيعَة الْحال. جعلوا الْحجاب فقط شرط لدخول الْمسجد وأداء الصلاة؟ ! شجعوا الانخراط فِي الْمحيط الْغير إسلامي، والْمنطلق الأساسي لفقه الأقليَة هو كيفيَة تطبيق شريعَة الله وتعاليمه ليس على مستوى الدولَة ولكن فِي إطار

الْجماعَـة الصَّـغِيرَة الْمسلمَة ثـم صـياغَة فقـه بنـائي لا يقطـع صلّة الأقليَة بالْمجتمع، ولكن يقيم هذه الصلّة على أساس من الإدراك لطبيعَـة وضـع الأقليَّـة وسـط محـيط الأغلبيَّـة مِمَّـا يضيق أحيانا من خيارات الأقليَّة. تصبح الخيارات الآن ليس بـين معـروف ومنكـر، ولكـن بـين منكـر ووضـع آخـر أشـد إنكـارا، وهـو وضـع تعرض لـه الأصـوليون ودعـوا فِـي تلـك الْحالّة الأخيرَة إلّى الإبقاء الْمؤقت علـى الْمنكر تجنبـا لوقـوع مـا هـو أسـوأ منـه وأنكَـرُ. ففـي نطـاق الْمعـاملات مـثلا هُنَـاكَ قضـايا كثيـرَة تصـادف الأقليَّـة الْمسلمَة مـاذا يفعل الْمسلمون الذين يشتغلِون فِي الْمطاعم وليست لديهم فرص عمل أخرى بينما تقدم هذه الْمطاعم لحم الخنزير أو النّبيذ وغير ذَلِكَ مِمَّـا هو محرم شرعا، هل يستمرون فِـي أعمـالهم ويقدمون هذه الْمحَرَّمـات للنـاس؟ أم يتركـون تلـك الأعمـال ويقعـدون عـاطلين؟ كانـت الإجابَـة: يستمرون فِـي أعمـالهم، ويقـدمون هـذه الْمحرمـات ولكـن لا يشـربون ولا يـأكلون بـل مطلـوب منهم ألا يغشون فيما يفعلون؟ !

دار الحرب ودار السلام؟ !

كل الـدّول الَّتِـي تـرتبط بالْمسلمين بمعاهدات أو مواثيـق ولا تقـوم بـدور الْمحتل أو الْمعتدي هذه الـدّول جميعهـا هـي دار عهـد وأمـان مـن النَّاحيَـة الشّـرعيَّة وليس لأحد بـأي حـال أن يصنفها بحسبانها دار حرب فواحدا من أكبر أئمَّـة الْمسلمين هو الإمام الشّافعي قال: إن الأصل فِي الأحكام أن الدُّنْيَا كلهـا دار واحـدَة. إن نصـوص الْقـرآن دعـت إلّـى مسـالْمَة كـل الْمسالمين ونهت عن الْعدوان علـى الآخـرين، ونضـيف هُنَـا أن تلك النَّصوص قررت أن الله سبحانه وتعالى خلق النَّاس مختلفين لِحِكمَـة أرادهـا وقـرر فِـي الْقرآن أنـه خلقهم شـعوبا

وقبائل كي يتعارفوا. لا أن يتعاركوا، أو يتغول طرف على آخر. وأن الإسلام مُنْذُ نزل أقام سلاما مَعَ مخالفيه حين اعترف بالديانات السَّابقَة من مسيحيَة ويهوديَة واعتبر أتباعها أهل كتاب. كان شرح مصطلح "الجهاد" مهما وواضحا وبعيدا عن استخدام المصطلح لانطباعات الآلة الإعلامية الْغربية الَّتِي دأبت على تصوير الْجهاد باعتباره فزاعَة تخيف الْعالم وحربا مقدسَة ضد الآخرين لا يخرج منها الْمرء إلا قاتلا أو مقتولا. الجهاد الإِسْلامِي الذي نعرفه فِي ديننا شيء أكبر بكثير من الْحرب الْمُقَدَّسَة فِي الْمفهوم الْغربي، هو ليس قتالا ضد الآخر ولكنه يبدأ جهادا للنفس ضد الأهواء والشهوات والشرور وينتهي جهادا ضد الظلم وينتهي جهادا ضد أعداء الله الذين يحاربون الْمسلمين ويفتنونهم فِي دينهم. لقد جاء رجل إِلَى النَّبي عليه الصلاة والسلام يستأذن فِي الْجهاد، فسأله النَّبي: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد. ولأن الْمسلم يعترف أنه يمكن أن يجاهد بقلبه ولسانه وماله كما يجاهد بنفسه وسلاحه، فقد قال فقيه كبير هو الْحسن الْبصري: إن الرَّجل ليجاهد وما ضرب بسيف يوما من الدهر؟!.

كان هُنَاكَ اعتراض على مخاطبَة الْمسلمين وكأنهم من همل الْبشر الجهلَة الذين لا يعرِفون ولا يحترِمون الْقانون الدولي الْحاكم للجماعات الإنسانية الَّتِي تعيش على هَذَا الْكوكب لأن لهم مرجعية أخرى هي الْقانون السماوي الأعلى. . يناقض ما يطنطن به فقهاء الْقانون الْغربيون تحت مسمى الْقانون الطبيعي ويعتبرونها مرجعية كثير من الْمبادئ الْقانونية الْعامَّة، لأن الْقانون الطبيعي ذاته نابع من

تراث الإنسانية ومفاهيم الأخلاق وهِيَ دوائر تستمد وجودها من الأديان السماوية، ثم أننا لا نعتبر أن الاعتزاز بمرجعية الشّريعَة الإِسْلامِية تنفي فكرَة القَوَانِين الوضعية الَّتِي تسير شئون النَّاس وتحقق مصالحهم. إن العالم الغربي لم يعرف فكرَة القانون الدولي ولا القانون البحري إلا فِي القواعد والمبادئ الَّتِي أرساها المسلمون، وقدمت قائمَة بست عشرَة رسالَة دكتوراه فِي مصر وحدها حققت هذه المسألَة وأصلتها بينها خمس رسائل على الأقل لمسلمين فِي فرنسا ذاتها.

"الجزيَة" و "أهل الذمَة"

استوجبا بحثا فِي أوراق خاتِمَة المؤتمَر، جاء فيه: الذمَّة فِي اللغَة العربيَّة وفي مفهوم الفقه الإِسْلامِي تعني الأمان وهِيَ لا تربط بأي معنى على العكس كان العربي يمتدح القوم بأنهم "لهم ذمَّة" وفي كلامنا المعاصر إذا استحلفنا شخصا بأمر عزيز قلنا: بذمتك. إذن الذمَّة ليست أمرا مذموما. . فالذمَة (عقد) سنوي لم يعد يعقد مُنْذُ قرون طوال، فقد صار النَّاس يعلنون الحرب معا ولا يدافع بعضهم عن بعض مُقابل ضريبَة سنوية هِيَ الَّتِي كانت تُسمَّى "الجزيَة" وبالتَّالي فلا معنى أصلا لطرح هَذَا الأمر من الأساس. ففي الزمن الَّذِي كان فيه تقليد "الجِزيَة" معمولا به كان هُنَاكَ أيضا "الخراج" وسيلَة من وسائل تمويل الدخل العام الَّذِي ينفق منه على المنافع العامَّة ومتطلبات الدفاع، فالجزية والخراج هما: الضرائب العامَّة. الَّتِي يدفعها المسلم تحت اسم الخراج وغير المسلم تحت اسم الجزيَة. وقد أسقط عمر بن الخطاب "الخليفَة" الجزية عن أهل قبيلَة (تغلِب) الَّتِي كانت من كُبْريات القبائل المسيحية فِي العراق. كما أسقطها

عن الشّعوب غير المسلمَة فِي آسيا وأسقطها عن بعض نواحي أنطاكيَة فِي مقابل بعض التّسيهلات (اللوجستيَة) الَّتِي تعهدوا بهَا لأي شيخ ضعف عن العمل أو إصابته بآفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت عنه الجزية وعيل (حصل على راتب) من بيت مال المسلمين. وعندما وجد الخليفَة عمر بن الخطاب يهوديا (شحات) وعرف منه أنه لا يملك شيئا ولا يستطيع دفع الجزية أعطاه من ماله الخاص. ثم أخذه إلى خازن بيت المال (وزير المالية) وأمره أن يُسقِط عنه وعن أمثاله الجزية، وبعده بزمان كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى نوابه فِي الأقاليم والبلا د " إن كان عندكم من أهل الذمَة مَن كَبُر سِنّه وضعُفت قُوَّته وولّت عنه المكاسب فأجْروا عليه رزقا (رواتب) من بيت مال المسلمين."

الفصل الثالث

١

- أتريد قهوَة؟

" يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. . أنا. . أنا. . أنا أهوى "

يأتي الصوت فيحتال عليّ. .أهو من "زبيدَة" الْغائبَة. أم هو صوت زوجتي؟ يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. . وتأتي الذكريات.

وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي. أما "زبيدَة" الْمَغْربية فهيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنها غيرت قميصها- فجاءت بقميص نوم أصفر؟ ! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن.. .

قالت: قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر.

وإذا شربت الْماء. . رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. . تلبس كل ما عندها. . وتقول كل ما تعرف. ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُرَّة أيضا!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟! اشتقت "زبيدَة" لأحاورها.هذه الْمرأة الْمنفلتَة من النَّص، أتشوق لصدفَة تجمعنا. من الْمؤكد سيكون لها مدخل مختلف فِي الأمر، اذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر ما في الْقلب يصغر عن ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!!أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ أئذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو

مجرد وجودي الدُّكُوري معها. يأتي بالحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. وبنا أعجبها الوضع الحالي؟! إن (علي) جاء واللولب موضوع ؟!ولذا تعاملنا مَعَ الحبوب. أكانت هِيَ الحقيقَة؟! أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه.. فكذبت العلم بالكيد؟! أكان فِي عيني بيان الفرا فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة اخرى؟! أم هو استثناء العلم؟!.يا للنساء. ! على كل حال بقي للحكاية نكهَة الفحولَة. حين أحكي بأن العلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الجامح، الطامح فِي العشق،وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة!! وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب؟! ولكن تبقى الحقيقَة عند زوجتي، والطبيب المعالج!

عاودت الانتظام اليومي بالمحاضرات فالتّرم الثاني من المنحة الدراسية كان مكثف المنهج كما أني كنت أتردد على مكتبة الجامعَة كطريقَة للمذاكرَة، وأيضا لحل لوغاريتم الآثار الفرعونية الَّذِي وقع فِي حِجر زوجتى فجأة !! غير أنّ حقيقَة الأمر وبواطنه فِي هَذَا الالتزام الَّذِي وصل إلى حد التزام تلاميذ الدِّراسَة الابتدائية عندنا فِي مصر بالذهاب كل يوم للمدرسَة،أمرآخر؟ كنت أبحث عنها، ولكنها لا تأتى؟! المحاضرات المشتركَة بين ما أدرس وما تدرس انتهت، وهِيَ بطبيعتها مُنْذُ البدء ليست من هواة المكتبَة! حتَّى الأماكن العامَّة بداخل الجامعَة حيث كنا نتردد عَلَيْهَا بحثا عن صدفة عمدًا،كانت تجمع الكثيرين والكثيرات ولكن ليس من بين الجميع (المغربية)! لم تأت الصُّدف الَّتِي أريدها، ولكن القدر ساق صدفًا أخرى تأتي حتَّى الصُّدف بما لا يشتهي العناق! إنها الفَرَنْسِية سريعَة الحركَة، كنت أعتقد أن

الْجزائري ذبحها إذ عرف أنها تبحث فِي الْحجاب عن جذور الدافع الْجِنْسِي؟ ! ولكن يبدو أن الْجزائريين يملكون من السماحَة وسعَة الأفق أكثر مِمَّا قدرت مَعَ فرنسا؟! كنا نلتقي فِي نظرات طويلَة تنتهي بأن يَغُضَّ أحدنا النَّظر. . وينصرف، كان من الْواضح أننا مدركين لمعرفتنا السَّابقَة، ولكن مُصرِّين على نفيها! ولكن مَعَ كرم الْقَدَر، واعتياد الصُّدَف تبيَّن لِي أنها أطول مِمَّا قدرت، وأنها دخلت إلى موضة التّايير ولم تخرج منه، تايرات أنيقَة بألوان مختلفَة، ودوما جيب قصير!

٢

أثناء وجودي بالْمكتبَة وجدت كتابًا بعنوان إنجليزي the dramedary وعليه رسم الْجَمَل، وكان معنى الْكلمَة (الْجَمَل الْعربي) اختطفته من الْحامل، فيبدو أنه جاء موعد معرفة معنى "أيُّها الْجمل الصحراوي"من شفتي حبيبتي ابنَة ميركو "كما تحب أن تنطق الْمغرب" أيكون ذَلِكَ سبب الْغياب؟! ألا تعرف أن الله يقول: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) الْكتاب يقرر أن الْجِمَال تُسَمَّى الإبل عند الْعرب، وأن الذَّكر الْقوي يُسَمَّى هجين والأنثى تُسمَّى ناقَة، وأن الْعرب قبل الإِسْلام كان لديهم عادات مَعَ الإبل؛فالنَّاقَة الَّتِي تلد خمسَة بُطون تُشَقُّ أذنها تعفى من الْحمل والذبح، وأما الْجمل الَّذِي يُعَشِّر عشرَة ناقات فيسمونه (الْحام) الَّذِي حمى ظهره فيُترك لا يُركب،ولا يُنتفع به ولا يَمنع عن الْماء أو الْمرعى !! و للعشق حكاياته فِي دنيا الإبل،فالجمل لا يصبر على الْماء والطعام فقط، ولكنه يصبر على رغبته أيضا! وبالتّالي فالنوق "جمع ناقة"هِيَ الَّتِي تبدأ الغَزَل؟ !

تبحث عن الذَّكر ويُصاحب ذَلِكَ حركَة جسمية كتلاعب ذيلها،أو فتح الأرجل الخلفيَّة.أما الذكر فهو شاعر فِي عشقه فهو لا يُحاول التّقرب بفمه من فتحَة المِهبل كمعظم الحيوانات!! ولكنه يلمس رقبَة النَّاقَة ويُدَغْدِغها،ويُصدر صوت القبول للجِماع وهو المعروف ب (القرقار) فإذا سمعت النَّاقَة (القرقار) بركت ونخَّت وركعت فيركبها الجمل ويحتضنها برجليه الأماميتين. أمَّاإذا لم تكن مستعدَّة تخفض جسمها بهدوء وتعاندالجمل،فإن الجمل يعضها فِي رقبتها ويرغمها بالقوَّة على الرُّكوع على الأرْض وهنا يصدر صوت يعرف بـ (القصف). يذكر الكتاب أن هُنَاكَ روايات كثيرَة عن جماع الإبل تختلف هذه الرِّوايات حيث إنها نادرا ما تشاهد وهِيَ تقوم بهذه العَمَلِية كما أن أفراد القطيع الآخرين يحجبون الرَّؤية عن الإنسان أثناء الأمر!

ومن هذه الرَّوايات ما يُحكى عن "النُّوق الحمر"وهِيَ الَّتِي تدرك من صوت الذَّكر، ولمسه لرقبتها، ما إذا كان "هجين" أم ضعيف، فلا تترك نفسها إلا للذكر القوي (الهجين) فتبرك!وتكون قادرَة على مقاومته ورفضه حتَّى إذا عضها ليرغمها على الرَّكوع، لأنها تدرك ضعفَه فينصرف عنها.

شعرت بيد على كتفي وأنا أسترسل مَعَ الكتاب. . وعندما الْتَفتُّ وجدتُها. . الفَرَنْسِيَّة. . وراء ظهري؟ ! فهل ستبدأ الغزل، أم النَّاقَة الحمراء ستبدأ معي معركَة أخرى للإبل؟ اعتدلت ناحيتها فِي جلستي واستمرت لحظات الصَّمْت ..

قالت: لماذا تهرب مني أتتجاهلني أم نسيتني؟ لن أعطل برنامجك، أريد عنوان الإقامَة، حتَّى أرسل لزوجتك هدية ردًّا على هدية الحجاب الأنيق ..

فقلت لها: أنت لا تُنسي. من قال لك إني متزوج؟ !

نظرت مبتسمة،وكأنها تفكرني بيوم الاحتفال، ووقتها . ساعدتها بتعريفها بـ (بورحاب) الجزائري يالا الغباء الإجتماعى!.

- أتعاني من زهايمر متقطع!..هل نسيت يوم المسلمبن بفرنسا؟

- هل هَذَا يعوق زواجي من فرنسيَّة؟ !

- ستدخل السجن- ففرنسا- لا تعرف تعدد الزوجات؟

- ألا تجدين لِي حل؟

قامت عاجلَة، فأعطيتها العنوان، وانصرفتُ معها، عند مخرج المكتبَة، لهوت معها قائلا: مارايك لو اعاونك فى البحث عن الحجاب؟ موافقة فابو رحاب يعاملنى بأنفة وتردد! أنا سأعاملك بالعصا والجزرة؟! زمجرت ونفرت.. وقالت: كما تعامل امريكا بلدكم؟! تبدأ النَّاقَة الحمراء معي معركَة أخرى للإبل؟ كيف !! أأقف فى خدمة من لا يفهم دعاباتى؟!النوق الحمراء مستعدة للعض دوماً؟!لم ينفع الموضوع

٣

قابلت الجزائرى" بورحاب"على باب مدرج المحاضرات.استقبلنى باهلا مسيو، وبدأت حكاياتة. فهومتحدث لبق،ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منة المعنى العربى، يرتعش وهو يتحدث فى حيوية وهو ضخم الجثة نوع يقول عنة العقاد (يرى ماشيا كانة راكبا)!!..ينتقل بى من سرالرئيس"فرانسو ميتران"الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وانجب منها طفلة؟.الى اليمنى "حسان التعلبى" الذى جاء معه بالقات! ولكنة لايجد وقت "القيلولة " الحار "للتخزين" فاضربت احوالة؟!إلى الصراع على الجزائر بين الشيوخ والجنرالات(ديسمبر١٩٩١- يناير١٩٩٢)؟!وكيف هرب من الموت هناك، تجرأت وقاطعتةفى دعابة لماذا لم تقتل الفرنسية.؟؟قال: تقصد "دانيل" انها رائعة انها ليست سجاح؟! دانيل مخلصة،وجادة،فى بحثهاوفد قلت لها ببساطة فى الحجاب" الشيطان هدفه دائما تعرية الانسان وكشف سوءته والتي تجلت ببراعة مع ابيناآادم عندما غواه وافهمه ان الشجرة التي منعه ربه من الاقتراب منها في الجنة التي وهبه اياها شجرة الخلد ولم يكن منع ربه منها سوي اختبار له لاختبار قابليته وقدرته علي الالتزام والصبر ودفعآادم ثمن خطيئته وعصيانه لربه وانصاته لهذا الشيطان المريد هو وامنا حواء بمجرد اقترابه واقراره بالاكل من شجرة الخلد وانكشفت سوءاتهماومن هول هذه الصدمة عليهما طفقا يخسفان عليهما من ورق الشجر ليسترا به عوراتهما.وهذا

المعنى فى الديانات الثلاثة.ونزلاآدم وحواء الي الحياة الدنيا بعد ان كانا في الجنة وتلك الجنة لم تكن جنة النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين في الحياة الاخرة؟! وانما هي جنة خلقت لهما وتختلف عن جنة النعيم؟ وهكذا بدات اللعبة بين بني ادم وبين الشيطان الرجيم الذي تجلت اهدافه في كشف عورة بني ادم وتعريتهم فالنفس البشرية النقية تكره العري والتمثيل بالجسد في شتي صوره والشيطان قد وصل الي نقطةالضعف؟!) و لكن قولى من سجاح آهى الجسد المريح بفرنسا يارجل! شخط ولمعت عيناه وهوقال:انت لا تعرف الفرنسية ولا العربية ولاتقرأ...الا تعرف حكاية "سجاح بنت سويد" .المراة التى ادعت النبوة فى اليمامة مثلما ادعى النبوة (مسيلمة بن حبيب) المعروف ب"الكذاب "فى بنى تميم .. في اوقات"حروب الردة"زمن خلافة ابو بكر الصديق زعمت سجاح أن الوحى زارها ونزل عليها بالنبوة فتردد أهلها فى تصديقها ..وإن كان بينهم من أقتنع بها وسار خلفها ..وحين سمع مسيلمة بحكاية سجاح أزعجه جدا أن تقاسمة امرأة النبوة وتشاركة إياها فتدبر الأمر مع رفاقة الذين أشاروا بأن يجتمع معها وينظرفى أمرها، فأجتمع الإثنان فى خيمة بقى خارجها أنصار كل منهما ولم يدخها إلا مسيلمة وسجاح فشلح لها سرواله وقال لها:" ألم تر أن الله خلقنا أفواجا .. وجعل النساء لنا أزواجا .. نولج فيهن إذا شئنا إيلاجا ونخرج منهن إذا شئنا إخراجا ".فضحكت سجاح ولم تصفعه؟! وقبلت دعوة مسيلمة الى الفراش، الذى كان قد أعده داخل الخيمة..فأشبع رغبتها وأسعدها وأرادت البقاء معه كزوجة مقابل أن تتنازل له عن النبوة؟! فخرج الإثنان

من الخيمة وخطب مسيلمة سجاح من قومها ،وحين سألوه عن المهرقال لهم : قد أعفيتكم من صلاة العصر!!

دخلنا معا المحاضرة كانت عن الحالات التى تحتاج لقوانين جديدة؟!كان البرفيسورساجان يطلب منا المشاركة وإستلهام الحلول مستفيدا من تعدد جنسيات الدارسين،وتعدد القوانين قال بمرح :المرأة تقلب علينالمنضدة..منضدة القانون،واحيانا منضدة الفضيلة...اماكيف؟ فهذا ما سنعرفه..وعلينا ان نجد حلا؟ فهى تريد ان تكون أما..باى شكل وباى علاج رضى القانون او سخط ،اتسعت رحمة الديناًوانفتحت ابواب جهنم.فبعد حريتها الجنسية،إصطدمت بحاجتها البولوجية للأمومة؟!وعرض حالات تحدثت عنها الصحف الفرنسية: كورين(٢٢سنة): أرملة لضابط فرنسي أحبته ثلاث سنوات وفجأة اكتشف "انه مصاب بالسرطان فى البروستاتا" وكان لابد من استئصالها لقد أصبح عاجزاًعن الإنجاب،ولما كان قبل ذلك يقوم ببعث حيواناته المنوية إلى احد المراكز الطبيةبإنتظام ليعرف سبب عدم إنجابه قبل اكتشافه المرض.فبعد موته لجأت أرملته كوين (٢٢ سنة) إلى المحكمة تطلب إسترجاع هذه الحيوانات المنوية وإنها من حقها، ولان المركز الطبي رفض إن يسلمها هذه الحيوانات لان الفقيد لم يوصى بها لأحد؟!ولكن حكمت لها بذلك احد محاكم باريس وحصلت على الحيوانات الخاصة بزوجها وبدأت تفكر فى الإنجاب بالتلقيح الصناعي من هذه الحيوانات؟! ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها محرجة؟ فلاهي تستطيع إن تمنعها من هذه العملية ولا تستطيع ان تخرج على قانونها الذي ينص على "انه بعد وفاة الأب بثلاثمائة، يوم أذا أنجبت زوجته اعتبر الابن غير

شرعي "ولازالت هي تحوزالمني وتهدد به الجميع وترى ان امومتها أهم،وتقول ماذا أفعل تأخرت قضيتى بين المركز الطبى والمحاكم اكثر من ثلثمائةيوم أعلن رجل أنة فى حاجه إلى أم تقبل ان تحمل منه عن طريق التلقيح الصناعي، ولها مكافأة مالية كبيرة إذا وافقت،ومكافأة أكثر إذا حملت وإذا ولدت وأعطته هذا الطفل ليسعد به هو وزوجته؟! كانت لهذا الرجل زوجة قد أجهضت مرتين ثم اتفق الزوجان على ان يكون لهما طفل عن طريق التلقيح الصناعى بواسطة امرأة أخرى- وجاء الرد بموافقة سيدة تعمل فى هيئة طبية لتحديد النسل ومتزوجة! حملت صناعيا وولدت وعندما تقدم الأب البيولوجي للام الوالدة بالنيابة رفضت ان تعطيه الطفل؟ فهي أمه وقالت هذه إلام فى المحكمة عندما فكرت فى الحمل كان دافعي إنسانيا ولكن بعد ان حملت شعرت بلذة الحمل وولدت وشعرت بالآم الوضع وعندما رأيت الطفل أحببته فهو ابني ولن أعطية لاحد والقانون لايعرف إلا أبا واحدا فهو الأب الشرعي وليس الأب البولوجى فالطفل إذن ابن هذه السيدة وزوجها. وقد طلبت المحكمة من الام ان تسمح بإرسال بعض الصور للطفل لوالده البولوجى . والأب الشرعي ليس راضيا تماما عن هذا الطفل،رغم قبوله اموال الأب البيولوجى وإنفاقها؟ . والأب البولوجى تعيس تماما لهذه المأساة .ولكن إلام الحامل بالنيابة هي إلام الحقيقية. إما الزوجة الأخرى فلا تزال تفكر فى الأمومة؟!

هنا إنشقت الارض ووصل ابو رحاب لمنصة البروفيسر وقال عندى الحل نطبق الشريعة الإسلامية " الولد للفراش وللعاهر الحجر"؟! وتكهرب الجو،وسمح

البروفيسر له أن يقدمه مكتوباً ففرنسا العلمانية لاتسمح بذلك داخل الجامعات؟

٤-

وصلت لباب الْبنايَة نظرت كما تعودت على صندوق الخطابات لعل أحدًا من الْمحروسَة يرسل بخبر، وجدت خطابا غريبا بخط عربي على مظروفه، الْحروف بدون همزات!! أفتحه..وأقرأ :

جَمَلي الْجميل.

من: هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر" هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن السمينَة سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع. ؟ !

أنا هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر. الأحباب دوما بين أحضان الْوجدان وعلى جدران الذاكرَة لوحات جميلَة لا يأتي عَلَيْهَا غبار النِّسيان. . أحبك. . وأُقَبِّل مفاتنك الْمتردِّدَة، ذكرياتي معك تكفيني، وتعصمني من فتنَة الرِّجَال فيما بقي من الْعمر!!

فكم كنت نبيلا، حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق. كشفت سري ولكن أتحبني رغم ما كان ؟! لأني أحرص على هَذَا الْحب الَّذِي نتائجه مستحيلَة. استأذنك فى سفرى الطارىء

دعنى أحكي قصتي:

سبق لِي أن أُجْهضت! كان الْفاعل من الْمحارم؟ ! كسر قلتي !! وبالتّالي لم يكن الْحل الزَّوَاج، إنك لا تعرف كيف تم الأمر معي؟ ماذا فعل الرِّجَال والنساء، كيف تجد الْكراهية باسم التّبرك بالدين، لقد حرمت بسبب الْقسوَة والجهل والخوف والسرية من أن أكون أُمًّا فِي الْمستقبل؟! اجتمع عليَّ نساء الْقبيلَة بخبرتهم الْجاهلية فِي إسقاط أنثى اعتبروها عاهرَة، فأسقطوها للأبد. الإجهاض *إذا لم نجعله أمنا فإننا نجعل الْمشكلَة مضاعفة فبدلًا من التّضحية بجنين غير مرغوب سنضحي بامرأة فالإجهاض غير الآمن مشكلَة حميمية أفقدتني الأمومَة. ولا ينبغي أن تخاطر النِّساء بحياتهن وصحتهن وإننا علينا ألا نكون كالنعامَة

---

* نظرية الْمنع الْمطلق للإجهاض هِيَ رأي قديم به نادى الْفاتيكان وبه ينادي الْمسلمون. . فهو يرى أنه لا إجهاض ولا إباحة له تحت أي خطر. . ولا يمكن إيقاف إرادَة الله الْعظمى على الأرض. ويبدو أنه الْوضع الْقانوني الْمستقر فِي (مصر) م٢٦١: كل من أسقط امرأة حبلى بإعطائها أدوية أو باستعمال وسائل مؤدية إلى ذلِكَ سواء أكان برضاها أم لا يعاقب بالْحبس.

م ٢٦٢: الْمرأة الَّتِي رضيت بتعاطي الأدوية مَعَ علمها بهَا أو رضيت بتعاطي الأدوية الْمسببَة لإسقاط الْحمل تعاقب بالْحبس.

= وتحت إلْحاح الْواقع أيهما أفضل: الإجهاض أم ترك الطفل بعد ولادته على باب ملجأ؟ أيهما أفضل الإجهاض أم الْولادَة وبيع الطفل غير الْمرغوب فيه ليكون قطع غيار لأجساد الأغنياء أو الْعمل فِي الْخدمَة بالْمنازل مجانًا؟

ماذا نفعل فِي ابن الزنا؟ ! وما تفسير ما جاء فِي سفر التّثنية " لا يدخل ابن زنا فِي جماعَة الرَّب حتَّى الْجيل الْعاشر لا يدخل منه أحد فِي جماعَة الرَّب " تثنيَة-١: ٢.

سادت نظرية الإجهاض الاحتياطي الَّتِي تقوم على أساس أنه لا يمنع الإجهاض مطلقًا وإنما يقبل احتياطيا فِي (حالات الابن غير الْمرغوب فيه) مثل الاغتصاب (عدم معرفة الأب)، تجربَة الْمراهقة الأولى، الْجنس بالاضطهاد فِي حالات الْحروب،

وفي هذه الْحالات لا بد أن يتم الإجهاض فِي مستشفى مجهزَة لذلك وتحت إشراف طبي، غير سري لضمان سلامَة الْمرأة وعدم تعرضها للخطر أو الابتزاز، ولكن أهمية النَّظرية أنها ترد الأمر لأصحاب الْقرار، إنها تعلن أنها ضد الإجهاض الهندي (في الهند تقوم الدولَة نفسها بإسقاط الْجنين إذا كان أنثى تحت مقولَة أنثى واحدَة فِي الأسرَة تكفي) والإجهاض السياسي: حيث تقوم الدُّول فِي حالَة الْحرب بإجهاض النِّساء الأسرى. . . وفي وقت السلم تجعل الإجهاض وسيلَة إجبارية لتنظيم الأسرَة.

ونضع رؤوسنا فِي الرِّمال فعندنا عدَّة إحصائيات ٢٠٠٠ طفل لقيط يُعْثر عليهم فِي شوارعِ الْمغرب سنويًا!! أهذا يكفي؟ كيف تحافظ على ذكراي مَعَ كل سيجارَة مينتول فتشمني برائحَة النَّعناع!

لعلك تسأل نفسك كيف تركت هذه الْمجنونَة فرنسا الآن؟ حلم الهجرَة، الْمعادلَة الْقانونية للعمل فِي بلاد الْجن والْملائكَة كما تقول، كنت أهرب من الخوف، أمَّا الآن فقد دخل الخوف بيتي حطَّم ما بقي من أسرتي،سجنوا أخي فِي قضية رأي سياسيَّة أعود للبعبع، لخوفي، لما هربت منه، أعود وأنا أعلم أني أنتحر ولكنه سيكون موتا جميلا؟! سأحارب معركَة أخي؟! فأحبني حتَّى أقتل خوفي، فدعوَة الْمحبين مثلك لا يردها الله فلا تسئ بي الظن، فمعك كانت صحتي، فالْحب كالصحَة يهون فِي الْوصال ويعز فِي الْفراق. كم كنت نبيلا،حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق، ولكني.يا أغلى النَّاس أحبك للأبد.

زوجتك

"زبيدَة"

زوجتى كيف حدث ذلك أهى امنيتها أم حقيقة؟!

فهل يتم الزواج بفرنسا بمجرد القبلات!أم المغربيات يتزوجن دون الذهاب للمأذون؟! واتذكر أنها قالت لى أنها من شيعة المغرب ..واعيد عجلة الذاكرة

عندما يمارس الجنس خارج اطار الزوجية يسمى زنا سواء (اذا تم بالتراضي- او بالحب بلا مقابل – اوالبغاء بمقابل) أو

اغتصاب (اذا تم غصبا).. هذا ماعرفناه فى دروس الشريعة، أما بكليات الحقوق..فعلمونا أن القانون لايعاقب على شيء تم بالتراضى.. كانت تقول لى أيها الْجمل الصَّحْرَاوِي **،ألا زِلْتَ تتحمل الْعَطَش. اشْرَبْني عاهرَةً شِئْتَ .أو جاريَةً! خُذْني محظيَّة..أو موهوبَة ..أو سبيَّة! لم يكن هناك شيىء عن الزواج.. ولكن الجواري والذى استمر حالهن حتى ١٨٣٥م شيىء أخرفمن يصدق؟! كان يتسرب سنويا عدد من الرقيق إلى بلاد العرب بطريق البحر الأحمروهؤلاء في بعض الأحيان يحملون جواز سفر من الحكومة الحبشية، فيسافرون كحجاج ليباعون في أسواق مكة المكرمة ؟! رجال ونساء وبينهن واحدة ولدت لملك سعودى شهير معظم أولاده وكانت تقيم في القصر الملكي السعودي وقتها مع الزوجات (النساءالشرعيات) غيرطائفة من الجواري السود اللواتي يدخلن في آية [وما ملكت أيمانكم] كذلك فهناك طائفة غير قليلة من السراري ويسموهن الكرجيات في مكة المشرفة فقد كان سوق النخاسة (دكة تسمى دكة العبيد وهي معروفة، يوقف عليها العبيد لعرضهم للبيع) لقد غمر العالم الإسلامي بالسبايا لكثرة الفتوحات والذين هم عنصر الغنيمة ولما كانت أحكام الإسلام تجيز معاشرة الجواري(السراري) إلى جانب الزوجة أو الزوجات الشرعيات ففعلوا ذلك دون قيد ولا شرط، ودون فرق بين حرب عقيدة وشراء من سوق النخاسة؟!

ويقص علينا الأستاذ أحمد شفيق باشا في مذكراته ص٩٠، إن الخديوي إسماعيل ترك في قصوره حين تخلى عن

نشر هذا الجزء فى ٢٠١٢م تحت عنوان : بقايا زبيدة الراسب بالفنجان

العرش،عـددا كبيـرا مـن الجـواري الشركسـيات، وأن ولاة الأمر لبثوا مدى يعملون للتخلص من هؤلاء الجواري؟!

واقدح الـذاكرة فـى وسـادة زبيـدة؟! وتحضـرنـى قولـة: **د.ه. لورانس**

" حـين تكـون كـا ئنـا حبريـا ، ذاكـرة طيـف، علـى سـرير ذاكرتك تسترجع الماضى.. فلا تخاف من رؤية نفسك عاريا ،لا خوف عليك من قشعريرة مرتجفة على الورق أمام بركة حبر.لقد انتهيت كشخص .. وبدأت كشخصية."

ويعود الشريط للبداية...منذ لقائنا الأول ..هل تتذكرى لقاء نـا الأول؟!

الجزء الثانى

الفصل الأول

١

أصْبَحْتُ أمام المكان الكأس المقدسة حديقة(Holy Grail) •بجنوب فرنسا ،رصد بعض المؤرخين والكتاب حياة المجدلية وكتبت" لين بينكت" في كتابها"مريم المجدلية: (أن السيدة رحلت إلى فرنسا،التي كانت تسمى بلاد الغال وقتها،ولا يعرف الكثير عن فترة وجود المجدلية في فرنسا، وان كانت الحكايات المتواترةعنها أنها وضعت هناك ابنتها من المسيح ولكن الحقائق المؤكدة تقول انه بحلول القرن الثاني عشر والثالث العشر الميلادىـ كما رصدت(سوزان هيسكنز) في مؤلفها حول المجدلية [زيادات بشكل ملحوظ فى أعداد الحجاج الذاهبين لزيارة ضريح مريم المجدلية في (فيزالى) بجنوب فرنسا،] والمثير أن العديد من الرسائل البابوية من الفاتيكان والتي أصدرها الباباوات لوشيوس الثالث، وأوربان الثالث، وكليمنت الثالث، قد أكدت جميعها بشكل رسمي، أن جسد المجدلية مدفون بالفعل في فيزالى، إلا أن احد منهم لم يفسر على الإطلاق كيف استقرت جثة المجدلية هناك؟!)

بحثْتُ بِعَيْنَيَّ عن ركن بعينه يذكرنى بها, كان المكان ممتلئًا بالنَّاس من كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ شمال أفْرِيقْيا، لِبْنَان بعض أَهْل الْخَلِيج وكَثْرَة عِرَاقِيَّة وَسُورِيَّة..أَشْعُرُ في قِلَّةِ

حيث اقعد توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة "الكأس المقدسة" أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة ،تحكى الحجرية المبهرة الأضواء:

((بأن الكأس كانت لها قوة إعجازية كبيرة، وكان العثور على هذه الكأس هو هدف فرسان الدائرة المستديرة التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس، والذي دارت حوله الأساطير الكثيرة. ثم تم ربطها بأسطورة أخرى،هي أسطورة الكأس التي استخدمها الرب يسوع المسيح في العشاء الأخيرفيوسف الرامي استخدم كأس العشاء الرباني في جمع دم المسيح من على الصليب ثم ألقي يوسف في السجن وهناك زاره المسيح وكشف له أسرار هذه الكأس المقدسة، وبعد أن خرج من السجن أخذ أنسباءه وأتباعه الآخرين وسافر إلى الغرب، وهناك أسس سلالة حراس الكأس المقدسة.))

الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لاأعرف مَصْدَرها كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن الجديدة، جمعتني بها الدراسَةُ، قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى فِي جامعَة ليون بفرنسا! جمعتْنا قليًلا، قاعات الدَّرس .. وكثيرًا الصُّدَف كانت من هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر"بالمغرب هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع. ؟! جأت من هُنَاكَ حيث الْحياة بلون الْبحر!!

الْمَكَان بِزجاجه الْملوَّن وبديكوره الْبسيط يُوحِي بأزمِنَةٍ أُسْطوريَّة مشربيَّات بالأرَابيسك الْمُتداخل،عَاشِق ومَعْشُوق مشكاوات مُتناثِرَة هُنَا وهُنَاكَ،قُلَل فخَّاريَّة تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار فترى كل ألوان قوس قزح،الأحمر يتداخل بالأزرق، والأصفر يطل من الأخضر..النِّساءُ كثيرات بجَمالِهنَّ،وأناقَةِ مَلابسِهنَّ الْعَاريَةِ عفويَّة جِلستُهُنَّ تُظْهرمِن أفْخَاذِهِن أكثربكثيرمِمَّا تعوَّدْتُ،فتُعْطِي الْمكانَ مَذاقَ الْمُعاصَرَة وليس عراقة وعتاقة الدين؟! بدى الأمرمجرد (سياحة ــ صرفة) تعتمد على اساطير،وميثولوجيا(مسيحية)،وليس على حقائق دينيه! أونصوص إنجيلية وكيف لا. ونحن فِي فرنسا – العلمانية الأوربية المعلنة ؟! ولكن ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد حولها فرنسيَّات بِدُون رجال؟! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لها تداعِيَات خَاصَّة،هل هذه الْمناضِد (جيتو خاص ــ أم أنَّ فرنسا تعرف الْحرَمْلِكَ؟

.....

كان معى وحدتى، ونسخه من الطبعة الأولى، لرواية النبطى (ليوسف زيدان) وهوعنده الرواية بحث إنسانى فى كل العلوم. والرواية حكاية امرأة قبطية شابة (مارية)،تلاحق الأحداث والتطورات،من خلال وجهة نظرها فالراوية تعيرنا حواسها لنرى ونفهم كل ما يدور من حولها إن ميزتها تكمن في قوة ملاحظتها ورهافة ذاكرتها هي امرأة استثنائية،وقد تكون في شخصيتها بعض السلبية،! غير أنها من جانب آخر كانت تستجيب لنداء جسدها وتستطيب عوالم المتع.، وفي سردها لأحداث الرواية تختار لغة أقرب ما تكون إلى الاحتشام، تنقاد مارية لغواية عربي جميل، طيب الرائحة تصادفه في طريقها بأرض خلاء،وهي مراهقة،ومعه خبرت النشوة الجسدية للمرة الأولى.. كانت تجربة،مبهمة،مبهرة،كما تقول: "بي ارتجافات في حضنه،فتحت عينيّ المسبلتين، فرأيت عينيه تغوصان فيّ،من فوقي،ومن خلفه بدت أطراف النخلات ورؤس الأعمدة بعيدة جداً،كان وحده القريب،اللصيق لن يمر الآن أحد من هنا. مر ذلك بخاطري،فغمرتني رغبة تدعوني للذوبان التام،والتوحد معه،ومع الأحجارالمحيطة،ومع حدود الكون.أدركت أن مايفعله بي، لي، لا له" وسيبقى ذلك المذاق الحلوالمفرط في عذوبته عالقاً في زاوية ما من ذاكرتها وروحها، وستبقى انتشاءاتها اللاحقة في السفح، لن تطول تلك الذروة التي وصلتها في تلك الساعة البعيدة،مع التاجر العربي، التي تبدو مثل حلم فردوسي، هارب ستحتفظ مارية بسرّها هذا، لنفسها،حتى وقت طويل، مستعيدة في الليالي نكهة ذلك اللقاء العابر المدهش وهي تداعب جسدها فلم تجد في

زوجها، فيما بعد،رفيقاً جسدياً وروحياً؟! فتنغمس في علاقةحميمة،مع شقيقة زوجها" ليلى"وهي أرملة جميلة ذات شهوة جنسية لا تكاد تخفيها.وبحسب وصف مارية لها: "حين تبتسم،تلمع بين سمرة شفتيها أسنانها،كأنها نجوم مصفوفة تزين سواد الليل."

(ليلى) هذه.غامضة،كالليل،وحالكة،وحافلة بالأسرار.هذه العلاقةالمحرّمة لن تلفت انتباه أحد، بيد أنها تعوّض مارية عن حرمانها العاطفي والجنسي مع زوجها" العقيم ـ جاهل المعاشرة" وشعورها بالوحدة وهي بعيدة عن أهلها، وقريتها. في،البدء تختلي" ليلى" وحدها،بين الصخور تتعرى ويتهيأ لها بأن الجن يواقعها!! تسألها مارية وما الذي يفعله معك الجن ؟! فتقول لها: يفعل العجب العجاب؟جرّبي مرة ،وسوف تصدّقين وبعدها تسعدين؟! لكن بعد ذلك، تترك "ليلى" وهمها ذاك وتتعلق بمارية؟! التي تهيم بها هي الأخرى.. تجلسان، وإحداهما تحدق في عيني صاحبتها.. تقول"مارية": .. (كأن عينيها كهف، فيه شهد مصفّى.. تحرسه الزنابير.. يدفعني إليها غموضها، وبقربها يغمرني إغواء ملتبس مستحيل)...

لكن في النهاية تتزوج ليلى،تاركةً،مارية،لوحدتهاووحشتها..أهذا مايفعله النساء امام جوع الجسد؟!.الهذا نساء فرنسا غير مهتمات بالحبيب،والرجل المرافق للأماكن وحيدات مع غواية الأمكنة! فهل انهار طقس الزواج من العالم ،وصار كل منا وحيداً؟! .. يالا النساء الوحيدات!!..

.....

هل تأتى معشوقتى الحلوة ؟! ولكن متى تأتي الصُّدف بما يشتهي العناق! صاحبتى غير ذلك تلهو فى باريس بعيداً عن أزقة المغرب الضيقة وعيون حاراتها الواسعة المتلصصة؟! ما كنت أمشي معها في الشارع العام،وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى..اصرخ مبتعداً عنها: مجنونة، نحن في الشارع العمومى..الاترين الناس؟!.. تلتصق بى وتقول: إنهم لا يرون شيئا.لا أحد ينظر إلينا، تلفت نظر الناس،عندما تبتعد عنى!.. وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، نبحث عن باب أول عمارة أمنة تصادفنا،اجذبها فيها الىُ؟! بداية كنت مضطرب، وبمرورالوقت تعودت وصارت تمشي إلى جانبى وعيناها تبحثان معى عن أي مكان يمكنني فيه أن اقبلها وأتحسسها.. لوجأت لتغيرت إستاتكية المكان؟! أذكر يوماً.. بهذا المكان..

قالت: ماذا يريد الرَّجل بعد أن تعطيه المرأة كفَّهَا فِي أمان؟

قلت: ومتى يحدث ذَلِكَ ؟!

قالت: حينما يمنحها الرَّجل براءته؟!.

.. تركت يدها فى يدى آمنة، فلقد كنا نبحث معاً عن لحظة البراءة..؟!

استمرت تحك عن المكان،والكأس المقدسة ..

قالت: وفي القرن العشرين تم تصويرها في كثير من الأفلام الروائية وأخيَراً صدرت في كتاب روائي باسم:" الدم المقدس ،الكأس المقدسة" سنة ١٩٨٢م. وفي هذا الكتاب قدم مؤلفوه الثلاثة الأسطورة،بأسلوب تقديم

الحدث التاريخي في صورة رموز وألغاز وأسرار،وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح،والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح. وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد الصلب مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها!! إلى ما يعرف الآن بجنوب فرنسا،وأسسوا هناك سلالة ملكية، هي الميروفينجيان الذين حكمواالمنطقة التي تعرف الآن بفرنسا وألمانيا من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الثامن،وكان يشار إليهم أحيانا، بالملوك ذوي الشعر الطويل تقول (المكان اصبح مشهورا بالكأس المقدسة بعد رواية كتبت فى ٢٠٠٣ م ليثورسؤالاً: هل تزوج المسيح بمريم المجدلية؟ وهل أنجب منها أولاداً؟ وهل تعيش ذريته حتى هذا اليوم؟!)

قلت لها: لم يكن المسيح متزوجاً فحسب, بل كان أباً أيضاً اتصدقين رواية زادها الخيال؟!

قالت: الكتاب الروائى يوثق الحقائق بالسرد، ويتركنا نفكرهل كانت مريم المجدلية الوعاء المقدس؟،وكانت الكأس الذي حمل سلالة يسوع المسيح الملكية؟,والرحم الذي حمل ورثة المسيحية والكرمة التي أنتجت الثمرة المقدسة؟!

اعتبرت(الكتاب– الرواية) قنبلة في وجه الكنيسة الكاثوليكية وأن كان ما كتب موجه للعقيدة المسيحية بصفة عامة وترجمت هذه الرواية إلى ثمانين لغة منها اللغة العربية،..

.....

قالت: هذا الكلام جاء في رواية "شفرة دافنشي" للروائي الأمريكي دان براون يقول فيها(أنه خلال القرون الأولى للمسيحية لم يكن هناك اعتقاد بألوهية المسيح، ولكن كانت النظرة له أنه نبي عظيم وقائد فذ وبشر فان، وأن قرار ألوهيته أتخذ على يد البشر في القرون اللاحقة أثناء تأسيس الكنيسة نفسها بشكلها الذي عرفه العالم،وبما أن المسيح كان إنساناً عادياً في المقام الأول فقد أحب وتزوج مريم المجدلية،وهي نفس السيدة التي وصمتها الكنيسة في مراحل متأخرة أيضا بأنها زانية وزعم (براون) على لسان بطل روايته،أن المسيح أنجب من مريم المجدلية ذرية ذات دم مقدس؟!)

ابتسمت حينما وجدت سجائري (المينتول) بلونها الأخضر النّعناعي أشعلت واحدَة.. واتذكروهي تُرَدِّد: متى تُغَيِّر شعالَة النَّار هذه؟!

قلت لها: شيئا خطيرًا أن يغير الرَّجل نوع تبغه!!

قالت: لا مفر..استسلم؟!

من يومها وأنا أدخن سجائر مينتول خضراء... كنت لا أدخن السيجارَة.. بل أدخنها بداخلي. فهل هي مُضِرَّة أيضًا بالصدر!!

سألتها كيف تعرف كل هذا عن المسيحية وهى مسلمة شيعيه،قالت انها براعة فاطمة المرنيسى استاذتنا فى المغرب،جعلت علم الإجتماع علم حياة،واكتشفت علاقة بين الأصولية الدينيةوالحركة النسائيةــ فلقد ولد الأثنين فى وقت

واحد ــ فى مصر، الإخوان المسلمين وحسن البنا، والحركة النسائية وهدى شعراوى ،احد عناصر تعلقى بك مصريتك؟

آه يا هي...آه ياعربدَة العقل؟!.هكذا قلت تعليقاًعلى عبث العقل بالأديان تحت مسمى شيطانى: حرية البحث،ورحابة الأعتقاد،وسمو الشك،وروعة صدق التاريخ؟! أخذت نَفَسًا عَمِيقًا،من السِّيجارَةالَّتِي توهَّجَت بين أصابعي وابتلعتُه،رددت عبارة:(انه تلبيس ابليس؟).. تعجبت وقتها بعيناها ولم ترد!

الْمَكَان بزُجاجِه الْملوَّن وبديكوره البسِيط يُوحِي بِأزمنَةٍ أسْطوريَة،بَاقي النِّساءِ منَ،الْجِنسيَّات الْعربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِوالحِشْمة،مع تدرُّج مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟! أوإطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! لقد جئن بملابس حشمة تناسب زيارات دينية،فوجدن فرنسا لعوب لاتهتم؟! على كل حال الْفُرجَة والْبحْلقَة أكثرُإثَارَة؟!

تذَكَّرْتُ ما قَاله طَهَ حُسيْن فِي روايته (أديب) عن فرنسا بلاد الجِنِّ والْملائكَة...ولكن هل تنزل الْملائكَةُ فِي حُضورِ النِّساءِ ؟! جاء السُّؤَالُ الْغَبي: هل تنزل الْملائكَةُ فِي حُضور النِّساء – معها تعليقاً ساذجاً على حكاية مريم المجدالية وزواجها بالمسيح؟! قالت: مريم الْعذراء كانت ترافقها الْملائكَة،والأنبياء أفضلُ من الْملائكَة وكان لكلِّ امرأة واحدَة،.. أكثرــ التوراَة تقول إن النَّبي

داود كان عنده ٩٩ امرأة وكان مُستعدًّا أن يرسل ضابطًا عنده إلَى الْحرب على الْحدود بعيدًا لِكَيْ يضم إليه زوجَة الضَّابط فيُكمِل مائَة امرأة !! فلماذا لا يكون للمسيح امرأته؟!

فلم أعَلِّق على ردِّها الْمُفاجِيء. والطويل، فلماذا لم أقل لها بأنَّ النَّبي داود عاتبه الله على عِشقِه الْمِئَوي لأنه نظر إلَى مُتَع جارِهِ،ولم يشكر على ما عنده فيظَلُّ السُّؤَال مَطْروحًا؟! هل لأنِّي أمسكت يدها وأخذت أعُدُّ الخَواتِم في أصابعها؟!أم لأني مثلُ النَّبي داود لم أكتف يوما بنعجة واحدة، فكيف سيتم عتابي أو عقابي وأنا ليس لي فِي الْغرام إلا أقل من عُشْرالنبى داودَ ؟!

كِتَاب كولن ويلسون(جُذورُ الدَّافِع الجنسي) بين يَدَيْ فرنسيَّة فِي الثَّلاثِين يتجسَّد وهِيَ مُستغرِقَة فِي صفحاته، تتململ تركَتْ كِتابَها،عَيْناها ترمِيَان من الْمجْهول إلَى الْمجهول!! النِّساءُ لا يَصْبِرنَ على الْقراءَة؟ غلاف مجلَّة لامرأةٍ عَاريةَ(فَرَشتْ رَمْلَ الْبحر ونامت،وتغطَّت بالشَّمْس) إنَّها نَاعومي عارضَةُ الأزياء. فأيُّ زيٍّ تَعْرِضُ وهِيَ"بلبوص" أيكون العقد الماسى حول رقبتها ؟! مِشْكاوَات متناثرَة هُنَا وهُناكَ، قُلَل فخَّاريَّة بالمكان تخرج منها إضاءَة خَافِتَة تَتَلوَّن بلَوْن جَوْف الْفخَّار، فترى كل ألوان قوس قزح. هُنَا وهُناك. ضوء أزرق وديع يخرج من نمائم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي.أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شقَّافَة،هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بركَة مُتَّسعَة تتوسَّط الْمَكَان.. اتَّجَهْت إلَى الـ (تواليت) فِي

نِهايَة الْمَمَرِّ.فِي منتصف الْممر الضَّيِّق قابلت الْمرأة الْفَرَنْسِيَّة الَّتِي كانت تقرأ كتاب: كولن ويلسون نظرت إلي فِي وُدٍّ كأَنَّهَا تَعْرِفني! أكانت تتلصَّص أيضًا؟ أم شَعَرَتْ ببحلقَتِي على رجلَيْها الْمُمتَدَّتيْن فوق الْمِنضدَة، مُتجاهلَة أنها ترتدي" تايور قصير باهت"؟!

جيبتها القصيرة تخلق علاقَة تلصُّص خفيَّة فى أوتار الْوجود، تجود بالنَّغَم الْمكنون،واللَّذَّة تسطع حتَّى تُعانِقَ الْجميع ؟!.

كانت تريد أن تُخْرِجَ شيئًا من حقيبتها وفي نفس الْوقت تضع كتابها.. ارتبكت، كادت شنطتها تفرغ ما فيها على فسيفساء الأرض تدخَّلتُ فتَمَّ تدارُك الأمْر.

قالتْ :**Mer ci**.

أخرجت فوط الْحقَّاضات النِّسائيَّة؟! حاولت أن أقويَ اللغَة الْفَرَنْسِيَّة ببعض الْغزل معها، ضحكتْ، علقت ببلاهَة بقصد جذب أطراف الْحديث، وانتباهها أيضاـ بالطريقَة إياهاـ لدى الْمصريين ؟!

ـ ما السِّرّ في الْحقَّاضات، ألا يُوجَد ورق تواليت بالحَمَّام، إنِّي قد أحتاج لواحدَة إذا كان الأمر كذلك ؟

ـ 'femme la pour chose quelque' حاجَة حريمي كده ؟!

ـ أيحدث فِي فرنسا نفس الشّيْء للنساء؟! كنت أعتقد أنَّ الْفرنسيات من الْحُورِيَّات! النِّساء الْمَوْهوبات من الرَّب فِي الْجنَّة للرِّجال الطَّيِّبين، يُعْطى الرَّجلُ الصالح "حوريَّتَان". اعتقدتُ أنَّ هُنَاكَ ما جعل بعضهن ينزل فرنسا حين رأيتك؟!

ــ ارْحَمْني أنا أنزف.
ــ الْحُوريَّات لا يستخدمن الْحفاضات النِّسَائِيَّة ــ فهنَّ لا يحضنــ فهل حوريات فرنسا ضد النَّص؟!
ــ أيها الشّبق اللحوح .. إني أنزف.

تركتْ شنطتها بين أحضاني؟! دخلَتِ الْحمَّامَ مُسرِعَةً بِفُوَط الْحَفَّاضَات النِّسَائِيَّة.. دخلتُ الْحَمَّام الْمجاور الخاص بالرِّجال ــ فحَتَّى فرنسا تفَضِّل الْفصل فِي هَذَا الشّأن ارتبكت قليلا فعلى كتفي شنطَة حريمي حمراء مكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة: لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟!

yeux votre dans est quelle pas faites ne tu uoiporq

ايَدْخُلُ رَجل حمَّام الرَّجال بهذا الْعرض؟!

(٢)

ازعج وحدتى شاب وفتاة يعرضا بيع رحلات قصيرة سياحية حول المنطقة منها المكان المتخيل قبر مريم المجدالية،وحين يأسا منى..عرضا بيع كتب فى اللاهوت القبطى،ومما عرضا كان مااحتاجة بالضبط، اشتريت الرواية ***the Davinci codeo*** رواية(دان براون) التى تقارب الـ ٥٠٠ صفحة كاتبها امريكي كان متوسط الشهرة ليصبح بعدها على راس قائمة أهم رجال ٢٠٠٥،هذه الرواية تتحدث في (تفاصيل خاصة جدا في الديانة المسيحية يعتبرها المسيحيون مسلمات بديهية لا يجوز المساس بها أو مناقشته)

تبدأ الرواية بـ "جاك سونيير" مدير متحف اللوفر،وهو يجرى داخل المتحف هاربا من شخص يحاول قتله،وهو ينجح في هذا بالفعل،إذ يطلق رصاصة تخترق معدة جاك سونيير ثم يتركه يصارع الموت وكل ما أمامه هو ١٥ دقيقة لينقل السر قبل موته،أي سر؟! يحقق في القضية النقيب"بيزوفاش" الذى يقرر بدوره الاستعانة ببطل الرواية "روبرت لانجدون"،أستاذ علم الرموز الدينية في جامعة هارفارد ــ اتعجب من هذة الوظيفة وهذا التخصص؟! والواقع أن هناك سببين لاستدعائه أولهما : انه كان على موعد مع القتيل. وثانيهما: وهو وضع جثة سونيير الذي عثروا عليه عاريا ممددا بصورة عجيبة على نجمة خماسية رسمها على الأرض؟. وبعد كثير من الاستنتاجات المعقدة والتي تساهم في حلها " صوفي نوفو" حفيدة سونيير والتي تعمل كخبيرة حل شفرات نفهم جميعا أن جاك سونيير كان القائد السري الحالي لجماعة تدعى"سيون" التي فقدت هذه

الليلة أربعة من قادتها كلهم ماتوا موتاً فجائياً فى حوادث مدبرة ؟ لقد قرر تصفية قادة جمعية "سيون" ليحصل منهم على سر الكأس المقدسة وفى هذه الأجواء البوليسية،ومع أحداث الرواية تتضح التفاصيل أكثر وأكثر.. أن جاك سونيير يحمل فعلا مفتاح الطريق إلى الكأس المقدسة، لكنه استعان بشفرات دافنشي العجيبة ليحميه وهى شفرات لا يقدر على حلها سوى[صوفي وروبرت لانجدون] مجتمعين وكلما انتقلنا من نقطة إلى نقطة،وجدنا شفرات،العبقري"دافنشي" تنتظرنا بغموضها وسخريتها الرهيبة بعقولنا على لسان(لانجدون) نعرف بعض الأسرار الطريفة ومنها ما يؤكد أن دافنشي الرسام نفسه كان عضوا نشيطاً في جماعة" سيون" وانه كان من(عبدة الإله الأنثى ويستخدم لوحة الموناليزا فائقة الشهرة لإثبات نظريته. بداية من اسمها ذاته والذي هو مزيج خبيث لكلمتي" آمون" و" إيزيس"، أي المزج بين الإله الذكروالأنثى، والمساواة بينهما في الأهمية) على عكس ما تؤمن به بعض المعتقدات الكاثوليكية،التي تقلل من أهمية الأنثى وتتهمها أنها اصل كل البلاء.لقد كان دافنشي عبقريا، وكانت موهبته في التشفيرلاحد لها،لهذا سخر موهبته لحماية أسرارجمعية سيون، ولهذا استعان بها قادة الجمعة من بعده ولهذا حملت الرواية هذا الاسم الغريب (شفرة أو لغز دافنشى) لكن هذا ليس كل شيء إن الكأس المقدسة هي امرأة؟! وتبدأ روعة الرواية بالخلط بين الحقيقى والمتخيل:(لقد قلت أن لديك صورة للمرأة التي ادعيت أنها هي الكأس المقدسة،المسيح بذات نفسه هو الذي أدعي ذلك؟! وهناك كانت نسخة من لوحة العشاء الأخير بطول ثمانية أقدام معلقة علي الحائط

لقد كانت هذه الصورة هي نفس الصورة التي كانت صوفي تنظر إليها بالضبط " ها هي!". اقتربت صوفي من اللوحة بتردد وأخذت تتفحص الأشكال الثلاثة عشر. كان يسوع المسيح في الوسط وستة من أتباعه علي يساره وستة علي يمينه" إنهم جميعاً رجال قال تيبينج: ماذا عن الشخص الذي يجلس في مكان الشرف علي يمين المسيح؟ دققت صوفي بالشخص الذي كان إلى يمين المسيح مباشرة. وركزت نظرها عليه. وعندما تفحصت وجه الشخص وجسده, أحست بموجة عارمة من الذهول تسري في جسدها. كان ذلك الشخص ذا شعر احمر كثيف ويدين ناعمتين مطويتين وصدر صغير. لقد كان الشخص دون أي شك. امرأة. كانت المرأة الجالسة علي يمين المسيح صبية صغيرة في السن ويبدو عليها الورع وذات وجه يتسم بالرزانة والحشمة وشعر احمر كثيف ويدين مطويتين بطمأنينة, هذه هي المرأة التي بأمكانها ببساطة قلب الكنيسة رأساً علي عقب؟ من هي هذه المرأة؟ سألت صوفي" تلك يا عزيزتي "أجابها تيبينج" هي مريم المجدلية ..التفتت صوفي" الزانية؟".أخذ(تيبينج) نفساً قصيراً, كما لو إن الكلمة جرحته في الصميم ". لم تكن المجدلية كذلك قط. وتلك الفكرة الخاطئة هي الإرث الذي خلفته الحملة القذرة التي أطلقتها الكنيسة الأولي فقد كانت الكنيسة بحاجة لتشويه سمعة مريم المجدلية وذلك للتغطية علي سرها الخطير وهو دورها ككأس مقدسة."كما ذكرت",أوضح تيبينج ," فأن الكنيسة كانت بحاجة لإقناع العالم بأن النبي الفاني يسوع المسيح كان كائناً إلهياً. ولهذا فان أي انجيل من الأناجيل كان يتضمن في طياته وصفاً لمظاهر إنسانية فانية من حياة

المسيح, كان يجب حذفه من الإنجيل الذي جمع في عهد قسطنطين, لكن من سوء حظ المحررين الأوائل, كان هناك موضوع بشري مزعج يتكرر في كل الأناجيل, وهو موضوع مريم المجدلية. صمت لحظة وبكلمات اصح, واوضح فتح موضوع زواجها من يسوع المسيح ؟عفواً , ماذا قلت؟" نظرت صوفي إلى لانجدون ثم نظرت إلى تيبينج ثانية." أن ذلك كله مذكور في السجلات التاريخية, لم يكن ذلك كلامي أنا ", قال تيبينج, " وكان دافنشي علي علم تام بهذه الحقيقة". ولوحة العشاء الأخير هي صرخة للعالم للفت نظرهم إلى أن يسوع والمجدلية كانا زوجين"..حدقت صوفي من جديد في اللوحة الجدارية." لاحظي أن يسوع والمجدلية يلبسان ثياباً متماثلة تماماً لكن بألوان متعاكسة أشار تيبينج إلى الشخصين اللذين كانا في وسط اللوحة الجدارية" كانت صوفي تكاد لا تصدق عينيها. هذا صحيح, لقد كانت ثيابهما متعاكسة في اللون؛ فيسوع كان يرتدي ثوباً أحمر وفوقه عباءة زرقاء في حين أن مريم المجدلية كانت ترتدي ثوباً ازرق وفوقه حمراء, ين ويانج.؟!)

.. تنقلني الرواية بمتعة الأكتشاف بين التصديق والخيال إلى ما هو أكثر غرابة [قال تيبينج لاحظي أن يسوع وعروسه يبدوان وكأنهما متصلان عند الورك, ثم يبتعدان عن بعضهما في الطرف العلوي وكأنهما بهذه الوضيعة يرسمان شكلاً واضحاً إلا وهو الكأس ،رأت صوفي شكل v الواضح تماماً في مركز اللوحة بالضبط قبل حتى أن يمرر قليل كناية عن الكأس المقدسة, القدح رحم الأنثى."وأخيراً قال تيبينج "إذا نظرت إلى المسيح والمجدلية بأعتبارهما عناصر تركيبية لا

علي أنهما شخصان, ستجدين أنهما يكونان شكلاً أخر أكثر وضوحاً ". صمت لحظة"وهو حرف من حروف رؤيته في اللوحة.كانت الخطوط التي تشكل حرف M عملاقة دقيقة إلى حد لا يترك مجالاً للشك, وكانت ساطعة في مركز اللوحة بشكل يعمي الأبصار تصرخ بصوت عال لتلفت نظر المشاهد إليها."ألا تعتقدين أنها شديدة الوضوح والتناسق لدرجة أنها لا يمكن أن تكون هناك بمحض الصدفة؟ " سألها تيبينج.لكن صوفي كانت مذهولة ". لكن ما هو القصد وراء رسمها هنا؟ ".هز تيبينج كتفيه وأجابها ". إذا سألت الباحثين الذين يقولون بنظرية المؤامرة فسيجيبونك بأن ذلك الحرف يرمز إلى كلمة ماتريمونيو– زواج – أو مريم المجدلية. ولكي أصدقك القول, لا احد يعرف الإجابة علي ذلك السؤال بشكل أكيد. لكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أن وجود حرف M بشكل مخفي في تلك اللوحة,لم يكن عن طريق الخطأ, هذا بالإضافة إلى انه كانت هناك أعمال كثيرة جداً ذات صلة بالكأس المقدسة أحتوت علي حرف M بشكل مخفي سواء كان ذلك كعلامة مائية أو بشكل مخبأ تحت اللوحات أو كإشارات مبتكرة لا تظهر للناظر إلا إذا دقق فيها. إلا أن أوضح M بلا منازع هي تلك التي تزين مذبح كنيسة سيدة باريس في لندن, والتي صممت علي يد زعيم كبير سابق لأخوية سيون, وهو جان كوكتو ".فكرت صوفي للحظات في المعلومات التي سمعتها لتوها " إنني اعترف أن حروف M المخفية تثير الفضول والدهشة, إلا انه من غير المعقول أن يدعي أي احد أن ذلك يعد دليلاً دامغاً علي زواج يسوع بالمجدلية "." لأ لأ نهائياً ", قال تيبينج وذهب نحو الطاولات المليئة بالكتب.." كما قلت لك سابقاً ،أن زواج يسوع ومريم المجدلية هو جزء من حقيقة

وسجلات تاريخية"واخذ ينبش في مجموعة الكتب التي كانت بين يديه ".علاوة علي أن يسوع كرجل متزوج هو آمر منطقي أكثر من فكرتنا الإنجيلية التقليدية التي تقول أنه كان عازباً " لماذا؟" سألت صوفي." لان يسوع كان يهودياً, قال لانجدون وقد استلم دفة الحديث عن تيبينج الذي كان يبحث عن كتاب يريده لصوفي ," وقد كان العرف الاجتماعي في ذلك العصر يحرم تماماً علي الرجل اليهودي أن يكون أعزباً, كما أن الامتناع عن الزواج كان ذنباً يعاقب عليه بحسب التقاليد اليهودية , وكان واجب الأب اليهودي أن يجد زوجة مناسبة لابنه, فلو كان المسيح أعزباً , لكان ذلك قد ذكر في احد الأناجيل وتم تفسير حالة عدم زواجه غير المألوفة علي الإطلاقـ عثر تيبينج علي كتاب كبير وسحبه نحوه من فوق الطاولة. كانت هذه النسخة من الكتاب: الأناجيل الغنوسية. فتحه تيبينج بحماس, وانضم إليه لانجدون وصوفي. لاحظت صوفي أن الكتاب كان يضم بين دفتيه صوراً بدت كأنها مقاطع مكبرة لوثائق قديمة أتضح أنها أوراق بردي ممزقة تحتوي علي نص مكتوب بخط اليد. لم تتمكن من التعرف علي اللغة القديمة, إلا أن الصفحات المقابلة حملت ترجمة مطبوعة لتلك النصوص." هذه صوراً للفائف البردي التي عثر عليها في واحة نجع حمادي وفي البحر الميت؟!"]

توقفت عن القراءة فهناك ابجديات كثيرة لا أفهمها؟! فماهى نصوص نجع حمادى ؟ وماذا فى لفائف البحر الميت؟! ومامعنى الأناجيل الغنوسية....؟! إنكسرت أشعَّةٌ الضوءوشعرت بِهَا وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الفارع الممتلئ بلا ترهل رائحتها فِي عبق المكان،أهي حقيقَة أم رغبَة لا تكف

عن المثول، أشعر بأصابعي بين أصابعها فِي عناق حارٍّ!! كنت توقفت بالرواية عند : (قال تيبينج: أنها السجلات المسيحية الأولي, والتي لا تتوافق معلوماتها للأسف مع الأناجيل التي جمع منها انجيل قسطنطين،قلب صفحات الكتاب حتى وصل إلى منتصفه ثم أشار إلى احد المقاطع " أن انجيل فيليب هو دائماً أفضل واحد نبدأ به ".قرأت (صوفي)المقطع الذي أشار إليه ورفيقة المخلص هي مريم المجدلية, أحبها المسيح أكثر من كل التلميذين واعتادأن يقبلها في معظم الأحيان وقد تضايق باقي التلميذين من ذلك وعبروا عن استيائهم. وقالوا آه ," لماذا تحبها أكثر منا؟".لقد فاجأت تلك الكلمات صوفي, إلا أنها لم تكن تبدو مقنعة." أنها لم تأت علي ذكر الزواج نهائياً "بالعكس" قال تيبينج بالفرنسية ثم ابتسم مشيراً إلى السطر الأول ". إذا سألت أي عالم باللغة الآرامية فسيقول لك أن كلمة رفيقة في تلك الأيام كانت تعني حرفياً الزوجة)

(٣)

حيث اقعد، توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة " الكأس المقدسة " أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة عن طريق الكاتب الفرنسي Chrétien de Troyes) الذي ادعى أنه أخذها من كتاب حقيقي أعطاه له رئيسه الكونت Philip of Flanders.

شعرت بِهَا المغربية السمراء ،وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارع الْممتلئ بلا ترهل, رائحتها فِي عبق الْمكان ، خمرية متوهجة ،كانت تعرف أني أُعْجِبتُ بِهَا سَعَيْتُ إليها.. فرفضت أن أكون عاشقًا مهزوما! جذبتُني فِي حركَة عُهْر حقيقيَّة؟!

قالت: دعك من.. الأهوت، وتمتع بالناسوت، اللَّيْلَة.. استَقْبِلنِي، وسأريك كيف يضيىء عقدى الحجرى فى الظلام؟!

قلت : أنا متزوج ؟!.

قالت: استلذّ مغامرَةَ الْمرأة الشّرعيَّة، والْمرأة الْمرغوبَة؟!!

قلت: لا يفعلها إلا يس أبن السيد عبد الجواد فى ثلاثية نجيب محفوظ

شربْنا فِي نخب (يس) عبد الْجواد،راجعنا الْمشهد،معًا...فهي قارئَة جيدَة لما يكتبه محفوظ،والغيطانى،واللبنانيات من "الأدبيات".النساء .هي،تستعيدالرِّوَايَة،وأناأستلذ الْفيلم ــ فهى التلميذة المقربة من(فاطمة المرنيسى ــ استاذة الأدب والإجتماع المغربية) ــ (ففى بين القصرين): (أخذ عبد الْمنعم إبراهيم"يس"، ناديَة لطفي"زَنُّوبَة الْعالْمَة"،وهو سكران طينَة فِي حنطور ودخل بِهَا على زوجته فِي منزل الزوجيَّة – لم يجد مكانًا آخر؟ــ قِلَّة الْحيلَة– استيقظت زوجته ؟! ترك الزوجَة والعشيقَة معًا فِي عراك !!) ...

قالت: عندي عزف بالفرنساوي على نفس الْمنوال ولكنه حقيقَة لا روايَة خياليَّة،انه،ما فِي

مذكرات(برجريت باردو) قارورة السينما الفرنسية أو"ب.ب" كما اشتُهرت،كم هو غريب عالَم نجمات السِّينِمَا!!) هو فضائحها مَعَ الرِّجَال ,فبعد طلاقها من زوجها فاديم غرقت فِي علاقات،مَعَ الرِّجَال فوقعت فِي حُبِّ (جان لوي ترينتيان) الذي كان يشاركها بطولة فيلم(وخلق الله المرأة) بل إنه،انتقل للحياة معها وترك زوجته, ثم تعرفت على المُغَني (جيلبرت بيكو) وشاركته استعراض رأس السَّنَة وتعترف بسهولة أن قلبها وفراشها قد جمع بين الاثنين!! وأدى ذَلِكَ إِلَى هجر(جان لوي) لها بعد أن ضبطها مُتَلبِّسَة مَعَ الآخر!! وحينما عرفت أن المُغَني بيكو يحب عَلَيْهَا أخرى جُنَّ جنونُها، وانتحرت ولكنَّها أُنْقِذت بأُعْجوبَة، ولم تتعلم مِمَّا حدث لها،فارتبطت بالمُغَنِّي (ساشا) لتغيظ بيكون، وكان ساشا فِي بداياته، فاتَّخذها سُلمًا لِيَصِل للشُّهرَة؟! ولكنَّها كعادتها فِي الجمع بين الرِّجَال والسقوط فِي حب أبطال الأفلام الَّتِي تشارك فيها وقعت فِي حب (جان شاربيه) وبنفس الطريقَة اكتُشِفَت هذه العلاقَة الجديدَة؟!

قلت: إنها"ياسين عبد الجواد– الأنثى

قالت: بل هى السيد عبد الجواد نفسه،الأمرعادي،راجع،القانون الفرنسى!! إنِّي أعرف من يجمع بين أكثر من واحدَة.. كان هُنَاكَ عصرٌ يجمع فيه الرِّجَال الجواري والإماء وما ملكت أَيْمَانُهم، العصر الآن يقبل العشيق ويقبل العشيقَة لا مفر من الإحتفاء بالجسد بدلا من قمع رغباته..العصور تُوجِدُ لنفسها تِقْنيَّة سرِّيَة بأشكال متعددَة لتجديد الغرام؟! فيبدوأن هُنَاكَ ثَمَّة حركَة بين الرِّجَال والنساء، تلعب فِي حياتنا ما تلعبه قوَّة الجاذبيَّة.. كان شوقها فى آخره..قامت فجأه..قم بنا؟!

سألت إلى اين؟ بصراحة حيرتنى اجابت: حين لا تجد المرأة رجلا ضارب الدنيا صرمة مثل يس، تقوم بنفس الدور..أنا ادعوك للعشاءعندى. قامت وسحبتنى وأنا منوم بجرائتها؟!

قلت : آهى..عقدة (ب.ب) قارورة فرنسا. عند المغاربه؟!

اجابت: بل..عقدة (س.س) عندالمصريينــ عقدةسى السيدــ أنها المكان،المسألة مجرد مكان؟ فأنت راض تماما،بل متمنى،الأمانى تتجسد،جملى الصحراوى اتريد خيمة؟ داخلي يهمس،هل تهزم امرأةُ العزيزهذه اللَّيلة؟!

أنا مسحور، ذائب وهِيَ تضع رِجْلَيْها فِي الْماءوتتكحَّل؟! والوقت بين النَّشوَة والغثيان؟ أشم رائحة النبى يوسف

(٤)

جاءالجزائرى"بورحاب".استقبلنى،باهلًامسيو،وبدأت حكاياتة.فهو متحدث لبق،ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منة المعنى العربى يرتعش وهو يتحدث فى حيوية وهو ضخم الجثة نوع ي من البشريقول عنة العقاد (يرى ماشيا كانة راكبا)!!.. ينتقل بنا من سرالرئيس"فرانسو ميتران"الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وانجب منها طفلة؟. . إ لى اليمنى "حسان التعلبى" الذى جاء معه بالقات! ولكنة لايجد وقت "القيلولة "الحار"للتخزين" فاضربت احوالة؟! إلى الصراع على

الجزائر بين،الشيوخ والجنرالات (ديسمبر١٩٩١ــ يناير١٩٩٢)؟! وكيف هرب من الموت هناك،

اقول ــ أتريد قهوَة؟

فيغرد بصوت اجش " يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. ؟!

تقول : إلا القهوة أنها مشروب المنازل ،الصينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. فإذا رفعت الْفنجان ترشف الْبن.المر تتناول معها التّمر.وإذا احتجت الْماء. رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف للماء الْورد

يرد الجزائرى : آهى قهوة أم هوى؟ إنهم بالمغرب يشربون قهوة اسمهان!!

حدثنا عن رواية (النبطى) التى أعارنى إياها،وبدى أنه يستعد لجلسة طويلة..كان داخلي يَهْمِس هل جاء سيِّدُها بالْباب؟! ففي فرنسا لا يتدخل أحد. وهِيَ سيِّدَة الْمواقف..امرأة بلا زوج، ولم تصبح أُمًّا،وأشْعَلَ حُبَّهَا رغبتُها. داخلي يهمس لا توجد محاذير فِي الْقانون الْفَرَنْسِي؟! ولا ثغرَة .. راجعته وهو فِي حالَة الرِّضَا يترك الأمر!! الْقَدَر يعمل إرادته..فهل يَضُرُّ فِعْلٌ مَعَ إيمان؟! فهل نشاء إلا ما شاء اللّه؟! أيُسعِفني الأشَاعِرَة..أم يُدِينُنِي الْمُعْتَزلَة؟! أمكتوب فِي الأزل الْغيبي ..أم النَّص الْمُقَدَّس بافعل ولا تفعل؟! لم يكن ممكن لآدم أن يعمل

بالأمر..والمشيئَة كتبت أن تكون حياتُه بالأرض؟! يا لها من إشكاليَّة مَن يُنْشِئ الأفْعال؟!

نظرت لى..لأنهى الموقف،لكنى خذلتها،بأستقبال..حوار(بورحاب) ببراح،قامت منصرفة،إنها امرأة تفرد كل ما عندها. تلبس كل ما عندها. وتقول كل ما تعرف..

اما النبطي الذى تحمل الرواية اسمه فهو الأخ الأصغر لسلومة زوج مارية أطلقوا عليه هذا الاسم منذ الصغر على الرغم من أن عائلته وقبيلته جميعاً من الأنباط. والنبطي شاب جميل يخلب لب مارية منذ أول يوم تشاهده؛ في أثناء خطبتها، وتتمنى لو أنه هو الخاطب. وسيستمر نوع من الود المتوهج الغامض بينهما،حب تختفي جمرته المتقدة تحت كتلة كثيفة من رماد الأعراف والتقاليد والمخاوف. يقول النبطي أنه يسمع نداءات من السماء، غير أنه لا يدّعي النبوة.. له دينه الخاص.. وله صلته الشخصية العميقة مع صورة لإلهين يلهمانه. صورة ماثلة بقوة في ذهنه. وهو مثقف بمعايير زمانه، يمارس سلطة الكلام، ويجيب على أسئلة الآخرين وبين الحين والآخر يذهب إلى جبل إيل في سيناء يصغي بخشوع لكلمات إلهه.

قال من بجانبى: إنها فتنة يصنعها زيدان بين حين وآخر. فهو يقرص الإسلام فى"النبطى",كما قرص المسيحية فى'عزازيل' ليحقق لنفسه الحياد وبناءً على "شفويّات"روائيّة تحتاج إلى تمحيصٍ شديدــ بأنها مواقف محايدة من التاريخ ــ على فرض التسليم بدعوى الحياد

تلكـــ لأن التاريخ هنالك متداخلٌ بالدِّين، بل إن الدِّين هو الذي صنع ذلك التاريخ والأحداث. كأن(زيدان) يتناغم بسلسلة رواياته تلك مع الحرب الفكريّة على الأديان؟ نظرت للجالس بجوارى الجزائرى الملتحى،البشوش فى بدلة كاملة وفى يده سبحة يحركها دوماً..

قلت: لا أجد ذلك فيما قرأت؟! ..

قال: لا تجيد التركيز،أولعلك لم تصل فى الصفحات لما اقول.

قلت : أنا بالفعل اجرى وراء "مارية" ولا أعطى لغيرها اهتمام.

طلب الرواية منى وقلب صفحاتها...وطلب منى القراءة وجدت فى الصفحات التى أختارها : (...مع حاطب امرأتان منكم،خائفتان،وهويريدأن يؤنسهما بكِ أخذهمامن الدوق هدية للنبى القرشى؟..فسألت: وماحاجة النبى بالنساء؟! فصمت. ردعميرو: أنبياء العرب يحبون النساء.. قال زوجى ساخرا: فما بال عمك النبطى يزعم أنه نبى وهو لايحب النساءً) وصفحة آخرى بالروابة(جاؤوا له برِقاع مكتوب فيها (قرآن المسلمين)، فنظر إليها طويلًا، وجال ببصره في السهول البعيدة، ثم قام وهو يقول، وكأنه يحادث نفسه: "يأتي بهذا، ويُسيل الدِّماء"؟!")

قال: النصّ بالرواية يسوقه زيدان حول ما جيء إلى النبطيّ به من قرآن، قال عنه ما قال معرّضًا الراوي بالرسول وبحركته، متباكيًا ضمنيًّا على ما حدث لليهود.

كأنه لا يعرفــ كما يبدو وهو المهتمّ بعلم التاريخ ومخطوطاتهــ الحيثيات التاريخيّة وراء ما حدث لليهود في الجزيرة من تهجيرٍ،أن خطاب الرواية العامّ ظلّ ينضح بإشاراتٍ سلبيّةٍ حيال الإسلام والمسلمين،وحول الحركة التاريخية التي أحدثها الإسلام في جزيرة العرب وخارجها،.ولعل من الشواهد الدالّة على ماأزعمــ وستتذكرها معى:

ـ أن(سلّومة) وهو ذلك النَّبَطيّ السِّكِّير، الذي تزوّج بالقبطيّة (ماريّة) وكان، فيما يظهر، على الدِّين المسيحيّــ ما أنْ أَسْلَمَ، حتى انقلب حالُه، وتحوّلت طباعه، وصار تاجر حربٍ، وخيولٍ، وبَشَرٍ، ما أنْ أَسْلَمَ، حتى استولى على بيت زوجته في مِصْر، وعلى مالها الذي أودعتْه لديه، لولا شكواها لأخيه النَّبَطي(الهودى)، فأعاد إليها بعضه.

ـ حتى(عميرو)،ذلك الصبيّ الوادع المسالم، أَسْلَمَ فصارت العصا (الشومة)، لا تفارق يده. وتحوّل إلى شخصٍ عدوانيّ؛ ضَرَبَ بعصاه سِنانَ اليهوديَّ؛ حين غضب سِنان لرَفْس فَرَس سلّومة ابنَه فتسبّبت في قتله يخاطبه عميرو بفوقيّة، قائلاً: إن عليه أن لا يرفع صوته على"أسياده"! ..

وأضاف: كأن الاسلام بحسب الروايةــ سببًا في تشريد الأنباط من ديارهم في شمال الجزيرة، مسلمين ويهودًا ومسيحيّين ووثنيّين،في هجرةٍ إلى مِصْر. ولا يبدو مستساغًا تبرير هذه المضامين. أسوأ أشكال الرواية (أدبًا) بثّ منشوراتٍ ومخطوطاتٍ طائفيّةٍ أو دينيّةٍ أو أيديولجيّةٍ، تحت

أيّ توجّه. وبذاك فإن ما لا يجرؤ بعض الكتاب على أن يمرّروه من خلال كتبٍ باتوا يَزُجُّونه من خلال روايات منذ "اولادحارتنا " لمحفوظ؛ لكي يقول أحدهمـــ حين يُساءلـــ أنا بريء، لستُ أقصد شيئًا، إنما كنت أكتب رواية ؟!

اقول له فى تندر: أبعد ألف ليلة، واولادحارتنا لايزال المسلسل مستمر؟!..

وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة مرَّة أخرى أمامي لا أعرف كيف تظهر لِي؟! إنها فِي لهوجَة دائمَة جاءت لمنضدتي؟! وجدت السجائر،وشعالَة النَّار القديمَة، أخذت واحدَة دون استئذان! قالت: منتول، نعناع .. ألا زال موجود هَذَا التّبغ السيئ!! .. أطفأتها .

حشر بورحاب رأسه معها.. بفرنسيته الجزائرية مضى ينقد رواية النبطى،فجلست الفرنسية مستمعة؟!

بورحاب: أن يكون المؤلف مؤرخاً فعليه أن يثق في التاريخ الذي يكتبه، أما أن يكون روائياً فعليه أن يكتب مايثق فيه،و د."يوسف زيدان" مؤرخاً بروح روائي، وروائي بقلم مؤرخ، فعشق الوقوف بالعتبات، عتبات الأزمنة قبل عتبات الأمكنة، فوقف في عزازيل عند عتبة الدين المتحول لسلطة تقهر حرية الاعتقاد واختار الأرثوذكسية المصرية لتكون حجر تلك العتبة عند مدينته الإسكندرية، ثم جاء بعتبته الثانية في روايته الحديثة "النبطي" ليقف علي عتبة زمنية أخري، عند تلك اللحظة التي خرج فيها الدين الإسلامي من جزيرة العرب لفتوح البلدان، وعلي حدود الجزيرة العربية قبيل فتح مصر بدقائق تاريخية، علي نحو أعاد فيه تقييم التاريخ عبر رؤيته

كمؤرخ يعبر عن رأيه روائياً، فجاء التاريخ في نبطيه محدثاً ثورة علي التقاليد التاريخية

قالت الفرنسية: أنه المذهب التفكيكي للرواية، القلقلة العنيفة للقواعد الفكرية المستقرة في التاريخ واللغة، وقال به أنصار النزعة التفكيكية، "جاك دريدا"(١٩٣٠٢٠٠٤م)، و"فوكو"(١٩٢٦ ١٩٨٤م)، و"بول دي مان"(١٩١٩ ١٩٨٣م).اعندكم روائي عربي يصلح لتطبيق قواعد ما بعد البنيوية علي إبداعه، لم يفعلها على ما أعرف إلا (دان برون) التفكيكي المتطرف الذى ينتقد الأفكار المثالية المعتمدة، والراسخة في الثقافه، فعل بالمسيحية الأفاعيل؟!

الجزائرى : مازالت تسيطر علي"زيدان" أصداء رواية "عزازيل" حيث يعيد في "النبطي" وصل الأحداث التي وقعت للفكر المسيحي المستنير في شخصية "الأب باخوم"رمز العلمانية المسيحية،ورأيه في حقيقة صلب "المسيح"، حيث يقول علي لسانه:" إن الرومان كانوا يصلبون علي عمود خشبي ليس له شكل الصليب" ص٥٩، كما أن "الأب باخوم" كان يحتفظ بمخلاته بنسخة من إنجيل يهوذا، ويصور "زيدان" في شخصية"باخوم" رجل الدين العلماني المحب للفن، والرسم، ولبراءة الأطفال، وموقفه من الصراع مع الكنيسة الرومانية في البلدة البيضاء، أتباع خلقيدونية،لقد فعل كماتقولين الأفاعيل ولكن بالإسلام...لأن"زيدان" يشكك أصلاً في رسائل النبي صلي الله عليه وسلم، والتي ثبت تاريخياً انه أرسلها إلي "المقوقس" حاكم مصر، فيقوم بقلقتة للثابت في التاريخ علي نحو آخر، من أن الذي أهدي النبي صلي الله عليه وسلم الشقيقتين"مارية"، و"سيرين" ليس "المقوقس"، حيث يلتقي

"سلومة" التاجر النبطي بقافلة "حاطب بن أبي بلتعة" وهو في طريق عودته إلي مصر ومعه هدية الحاكم الروماني إلي النبي صلي الله عليه وسلم، ثم تمر سنوات، حدث خلالها فتح مكة، وإنجاب"مارية القبطية" ل"إبراهيم"، ليعلن "زيدان" فجأة أن الرومان جلبوا من جهة القوقاس أسقف ملكاني رهيب ليحكم مصر، ويشيع الرعب في قلوب اليعاقبة الفقراء، اسمه "قيرس" ويسميه الناس"المقوقس"، بيد أن الثابت تاريخياً أن شخصية "المقوقس" كانت علي مسرح الأحداث من قبل ظهورها عند"زيدان" بسنوات طويلة، فتذكر الباحثة"بتشر" أن كلمة"مقوقس" معناها الأفخم في اللغة الرومانية، ظنها العرب جزءً من اسم "جرجس بن مينا بن كوبوس"، المصري، والي مصر غير العسكري، وبقي في وظيفته بعد فتح العرب لمصر، فقد خلط "زيدان" بينه وبين"كيروس" حاكم مصر الوسطي

ينظر لى ويقول : لقد مس تاريخ المصريين بشرر **(يتعرض"زيدان" في ثورية بالغة لكيفية فتح العرب لمصر؟ علي نحو مخالف للثابت عند"السيوطي" في حسن محاضرته، وعند"البلاذري"، وعند"ألفرد بتلر" في "فتح مصر"، فقد شُغل جميع المؤرخين بقضية هل تم فتح مصر عنوة؟ أم بالاتفاق؟ فجاء فتح مصر عند "زيدان" علي نحو خارج نطاق تلك القضية ذات الحدين، فجعل فتح مصر تم بالخدعة، و يفتعل واقعة تاريخية بعيدة عن الواقع حيث جعل اليهود يستجيبون لطلب المسلمين في الهجرة إلي مصر لكي يمهدوا لأمراء الحرب دخولها،)**

إنصرفا معا؟! شاهدتها تباطئه بعد أن أخذت شنطه يدها من فوق المنضدة،كان العرض لا يزال مستمراً من شنطتها الحمراء المكتوب عليها بالفَرنْسِيَّة : لماذا لا تفعل ما أراه فِي عينيك..؟! yeux votre dans est quelle pas faites ne tu porquoi

فبورحاب من الرجال ،الذى يفضل الجلوس مع الذكور،فإذا وجدت الأنثى؟! لعن ابوخاش الذكور!!

اعود للرواية بعد سرحان فكرى.,تعقد الموقف وسممت الرواية،القراءة الأن بعيون الرقيب, بوليس الشك دخل بدون اذن نيابة غرفة الرواية يفتش محتوياتها ويتلصّص على أسرارها، وأدراج خزائنها، وألبوم صوّرها، ورائحة سريرها، ومرآة حمّامها.لتصبح قضية تجسس بدلأمن بهجه وقت؟! **(يروي"زيدان علي لسان بطله "النبطي" العائد من العراق، أنباء تعكس رؤيته للصراع بين القبائل العربية علي نحو يمزج بين الدين وكونه غطاء للصراع القبلي العصبي، حيث قبيلة"تغلب" وهي واحدة من أقوي قبائل العرب تود لو تأكل العرب، ولكنهم يحتاجون إلي نبوة كستار ليحاربوا تحت رايتها، حيث عادت إلي بني"تغلب" قوتهم بعد هزيمتهم في حرب"الباسوس" التاريخية، واتحدوا مع بني بكر أبناء عومتهم، حتي إنهم عرضوا علي"النبطي" أن يكون نبيهم، وسيؤمنون له، إذا قال في الحرب وحياً يدعو إلي القتال)**

.....

وهناك تلميحاً من "زيدان" إلي الآيات القرآنية التي نزلت في القتال، وكانت مبرراً لحروب قريش لبقية القبائل العربية، كما انه كان حريصاً علي إضافة "القرشي" إلي اسم"النبي" صلي الله عليه وسلم، ولكن النبطي اعتذر لهم لأن نبوته لم تكتمل، فقاموا بطرده، وسبه، واهانته، بعد أن كان نبيهم المأمول ص٣٢٥)

خاصة (استفاضته في سرد وقائع المواجهات الدامية بين المسلمين واليهود، ورصده لجسامة حجم كراهية اليهود للمسلمين، حتي أن"سلومة" نهي"مارية" عن الخوض في حكي النساء هذا، عندما كاشفته بسؤالها عن سر هذا التحول في العلاقة بين اليهود، والمسلمين؟ !)

لا شك أن رواية"النبطي" تقدم تأويلاً جديداً للتاريخ،.. أقفل الرواية وأتصفحها بلا عناية،اصل للجمل التي تقفل بها (مارية) الرواية: " كان النبطي مبتغاي من المبتدأ، وحلمي الذي لم يكتمل إلى المنتهى ما لي دوماً مستسلمة لما يأتيني من خارجي، فيستلبني.. أحجر أنا، حتى لا يحرّكني الهوى، وتقودني أمنيتي الوحيدة؟ هلاّ غافلتهم، وهم أصلاً غافلون، فأعود إليه.. لأبقى معه، ومعاً نموت، ثم نولد من جديد هدهدين."

(٥)

طاولتى قريبة من طاولة سيدة معها آخريات، فيما بدى لى أنها سعودية كانت تمسح بيديها على سائر جسدها بحركه سريعة بعدأن قرأت المعوذتين والإخلاص ثلاثا، مخافة

الحسد، بصوت رائق مسموع,, .بقية من السعوديات معها ارتدين العباءات المخصرة والمطرذة مع لثمات تغطي ما بين الأنف والنحر،وتبرزجمال أعينهن المكحلة وعدساتهن الملونة.تصل سعودية جميلة صغيرة،فى وجهها قبول،محمرة الوجه والجسم وكانها خارجة من حمام مغربي، مع فتلة الوجه والحلاوة .ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة تخفي معالم الأنوثة منها،وطاقية بندانة خبأت تحتها شعرها.. فيهللن لها فى بشاشة وحبورويبدوعليهن لهفة انتظارشيئا ما?? فتعاجلهن قبل جلوسها فى ابتسامة. بقولها : شريط الزفة ما زال عالقاً، هاانا ذي احطم الرقم القياسي ببلوغي الليلة السابعة بعد زواجى دون أن يمسسنى رماح حتى الآن ؟! مع أنى كنت على استعداد للتخلي عن نظريات امى بعد أول ليلة معه ولكنة .. وكانة مايبغى؟! وتكمل بالامس " ارتديت قميص نومى السكري الذي ارتديته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتى مثيرة به إعجاب والدتى التي تذكر الله خشية الحسد، خرجت من الحمام لاجده نائماً ومع أنى أكاد أجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عينانا للحظة خاطفة ، إلا أنى صرفت وساوس إبليس.؟!" يضحكن فى دلال ..

اتذكر.الرواية السعودية "بنات الرياض" التى صدرت عن دار الساقي في بيروت، لكاتبتها /رجاء عبد الله الصانع وهي الرواية الأولى للكاتبة اللافت ان اسم «بنات الرياض»، أستقي من أغنية للفنان "عبدالمجيد عبدالله" تقول الكاتبة فى بداية الرواية : "نكشتُ شعري،

ولطّختُ شفتي بالأحمر الصارخ، وإلى جانبي صحن من رقائق البطاطس المَرشوشة بالليمون والشّطّة. كلّ شي جاهزللفضيحة." ووصفها هذا يدلّ على استعدادها للمُواجهة بكلّ حدّتها... لتزيح الستار العميق الذي يختفي خلفه عالم الفتيات المثير في الرياض. تروي لنا على شبكة الإنترنيت قصص أربع صديقات لها إضافة إلى أم نوير التي كان بيتها ملتقى الصديقات الأربع ومسرحا لكشف اسرارهن. الرواية حداثية الفكرة أوالسرد؛ وهي في نفس الوقت قفز فوق التقاليد لتقدم ما هو خارج. حيث استخدمت رجاء الصانع تقنيات العصر عبر الشبكة العنكبوتية، وطرح (خمسين رسالة إلكترونية) أطلقت عليها «سيرة وانفضحت» والكتابة بصيغة ضمير المتكلم توحي بأن المتحدث هو المؤلف نفسه، وبما يصعب معه التفريق والفصل بين صوت المؤلف وصوت الراوي، لهذا تخفت الكاتبة رجاء الصانع وراء صوت الفتاة الراوية "موا" مخاطبةً جمهورقرائها

(سيداتي آنساني سادتي.).. أنتم على موعد مع أكبر الفضائح المحلية، وأصخب السهرات الشبابية. محدثتكم، «موا»، تنقلكم الى عالم هو أقرب الى كل منكم مما يصوره له الخيال. هو واقع نعيشه ولا نعيش فيه، نؤمن بما نستسيغ الإيمان به ونكفر بالباقي؟!) إننا أمام فضاء جديد للإبداع..لا هو سيري ذاتي،ولا واقعي سحري، إنه عالم فلسفته الخيال ويقدم لنا الإنسان الافتراضي واللغة الاجتماعية،وايضا مصطلحات «التشات» و«الانكليزية» التي كتبت بالأحرف العربيةــ ولكنها ممتعة التنوع ــ وأما

الفكرة فهي جديدة من حيث ارتدائها "الجرأة" وخلعها"النص التقليدي"والحكاية المألوفة لتغوص في عالم حديث لفتيات سعوديات من هذا العصر تقول في وصف إحدى السهرات لتلك الصديقات التي سحبت عليهن وصف بنات الرياض"**وُزعت الشيش الجديدة في الخيمة لأن شيش الأب تنتقل معه حيثما يسافر. أعدت الخادمة الفحم وأخذت الأغاني تصدح وبدأ الجميع بالرقص والتعسيل ولعب الورق، "** وتركز قصة كلّ منهن في حياتها العاطفية وما عانته كل واحدة في مجتمع منغلق ،الاختلاط بين الجنسين مُحرّم، حتى إذا توفر في كلية الطب مثلا فإلى حد محدود جدا. وكل مَن تُضبَط برفقة صديق تُعاقب ويتعَهّد ذووها بالتّحفظ عليها... تقول مثلاً: **" في يوم الفالنتاين أو عيد الحب، ارتدت ميشيل قميصاً أحمر وحملت حقيبة من اللون نفسه، وكذلك بالنسبة إلى شريحة كبيرة من الطالبات، فاصطبغ الحرم الجامعي باللون الأحمر، ثياباً وزهوراً ودمىً. كان العيد أيامها تقليعة جديدة استلطفها الشبان الذين صاروا يجولون في سياراتهم في الشوارع مستوقفين كل فتاة جميلة ليقدموا لها وردة حمراء ملفوفاً على ساقها الرقم"**

تقصد رقم الجوال؟! واستلطفتها الشابات اللواتي وجدن أخيراً من يهديهن وروداً حمراء كما في الأفلام". ثم تقول بعد ذلك: "يمنع الاحتفال بعيد الحب في بلادنا ولا يُمنع الاحتفال بعيد الأم أو الأب مع أن الحكم الشرعي واحد. مضطهد أنت أيها الحب في هذا البلد"...هذا الكبتُ الشديد كانت تُقابله الفتاةُ بالتعليقات الساخرة والمُنتقدة في الجلسات النسائية البيتية"

تقول: **"قبل هبوط الطائرة في مطار هيثرو، توجهت سديم نحو حمام الطائرة وقامت بنَزع عباءتها وغطاء شعرها لتكشف عن جسم متناسق يلفه الجينز والتي شيرت الضيقان، ووجه بريء التقاطيع تزينه حمرة الخدود الخفيفة "البلاشر" وقليل من الماسكارا ومسحة من ملمع "لب قلوس" للشفاه".**

وتحكي الرواية عن أربع فتيات جامعيات"بنات الطبقة الثرية بالسعودية": سديم، قمرة، لميس، ومشاعل (ميشيل) كما تنادى؛ لكون والدتها أمريكية. وتبدأ الرواية بموقع إلكتروني ورسائل للمجموعات البريدية تتناول فيها فتاة مجهولة أحداث حياة كل منهن وما فيها من أمور شخصية. الرواية تمحورت في معظمها حولَ حياة الفتيات العاطفيّة والقيود التي تُكبّل الفتاة السعودية في علاقاتها بالرجل، هذه الفتاة التي تحاول التمرّد على مجتمعها بالإلتفاف على محرماته بمختلف الأساليب، ولكن حتى يتحرّر المجتمع يجب أن تتحرّر عقلية الرجل أوّلا. صحيح أنّ الكاتبة تعرّضت لقضية رفض وظلم الأغلبية السنيّة للأقلية الشيعية في المملكة وتكفير أتباعها واستنكار كل علاقة بأيّ منهم"كانت قمرة وسديم تُحذرانها من طعام الشيعة، فهم يُنَجّسون طعامَهم خفية إنْ عرفوا بأنّ سنيّاً سيأكل منه؟! ولا يتورّعون عن دَسّ السمّ فيه لينالوا ثوابَ قتل سنّي!!")..
والشرطة التي أمسكت بلميس تجلس وزميلها في الجامعة "علي الشيعي" أخبرت والدَها "أنّ عقابَ علي سوف يكون اقسى بكثير من عقابها هي لكَوْنه من الرّافضة؟!"). لكن الواضح أنّ الرواية تجاهلت القضايا الأخرى التي لا بدّ وتُثير اهتمامَ أبناء المجتمع السعودي، ككل مجتمع

آخر،كالقضايا السياسية والإقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية. فالكاتبة تَمركّزت في القضايا العاطفية التي تُشكّل محورا مهما في حياة أبناء الطبقة الغنية."التي كما يبدو هي الشاغلة لها أكثر". وتاتى طزاجة النص وسخونتة "الحداثة" عبر حكايات البنات وهذا يقودني إلى المحور الأساسي في الرواية وهو اللامكان (شاشة الكمبيوتر) التي كانت البطل في النص، وتم إلغاء المكان المألوف في النص الروائي لصالح المكان الافتراضي الذي بدأ يتسلل إلى حياة الناس وبشكل لافت، وأصبح جزءاً من حياتهم، متجاوزاً تلك الأمكنة بكل أنماطها القديمة و محور الزمن في الرواية، فهو تابع لأزرار الإنترنت، شاخص لحركتها، وبعد كل رسالة، يتوسع المكان ليولد أماكن أخرى هي أعماق الفتيات وقدرتهن على تجاوز الخوف، هذا التجاوز اللافت هو نقطة ارتكاز أساسية للتعامل مع الموروث، وهذا هو الذي أثار ضجة في الوسط الاجتماعي قبل غيره انه الشات ، ولغة الشات عند البنات

(خليني أكلمك عن ستايل شباب الرياض بما إنهم يور مين إنترست : أول حاجة حيقول لك : ممكن أعرف إسمك ؟ انتي طبعاً ما تديلوا اسمك الحقيقي ، إما تديه اسم يعجبك أو تقولي لو سوري ما أبغي أقول اسمي . أنا عن نفسي أشتري دماغي وأقول أية اسم ، بس انتبهي كل واحد أديتيه أي اسم ! أنصحك تعملي زيي ، تسجليهم في دفتر علشان ما تتلخبطي ، أو تختاري اسم واحد ثابت ، بس كده أنا أحسو زهق ! بعد الاسم بكم يوم حيقول لك أنا معجب بشخصيتك وما عمري شفت زيك ، ممكن نتكلم بالتليفون ؟ حيطفشك وزن عليك وما حتوافقي طبعاً بس

برضو حيديكي رقمو ! بعد كم يوم حيطلب صورتك علشان يبعث لك صورتو ، بس في الأخير حيمل ويبعتها من غير ما تبعتي لو حاجة . ساعتها ستي حتشوفي واحد من اتنين ! إما واحد جالس ورا مكتب وماسك قلم ووراه علم السعودية ، أو واحد عامل فيها بدوي وجالس جلسة عربية على الأرض ومتلتم وواحدة من ركبتيه مرفوعة ومسند دراعو عليها ، وما ناقصو غير صقر على كتفوا ويطلع في برنامج مضارب البادية !)

النِّساءِ بالمكان منَ الجِنسيَّات العربيَّة مُرْتَبِكَات بين السُّفُورِ والحِشْمة، مع تدرُّجٍ مِزاجِيٍّ فيما يُظْهِرْنَ من الشَّعر،أخَصْلَة تكفي؟ أم حِجَابٌ لا يُظْهِرُه ؟! أوإطْلاقُه على حُرِّيَّتِهِ لِلنَّسِيم ليقول آهاتٍ؟! الفُرجَةُ والبحْلقَةُ أكثرُ إثَارَة ؟!

اتذكر انى عرفت المكان منها اثناء مُحاضرَة: (أهميَّة نصوص الرَّأفَة وإيقاف التَّنفيذ فِي التّشريع العِقَابِي).. تحدثت باختصار عن نص م١٧ في مصر وكذا م٥٥ فِي إيقاف التَّنْفيذ . كانت تتدخل وتسعفني فتشرح ما أقوله إذا تطلب الأمر الإطالَة .. كانت لساني فِي غربتي ففرنسيتي عرجاء عَلَّق المُحاضر (جارودي مارسل): ليس الأمر متروك للقاضي فالمحامي يجب أن يحثه فِي مرافعته ويتمسك بذلك فِي مُذَكِّرَة طَلَباتِه فالسُّلطَة التّقديريَة * للقاضي هُنَا سُلطَة وَقائِع لا سُلطَة مُطلَقَة. ولِذا فالعمل بالعدالَة يقتضي معرفَة علم الاجتماع وعلم النَّفس، وليس القانون وحده. فالأوراق الجنائيَّة عندنا بِهَا خانَة لدراسَة الحالَة تتحدث عن ظروف الجاني بيئته، معتقداته فهيَ تَهْتمُّ

به قبل وقوع الجريمَة، فنحن لا نشعر بغليان الماء إلا فِي درجَة ١٠٠ فِي حين أن الغليان قادم مُنْذُ درجَة ٩٨ ولو لأتفه الأسباب.؟؟ .. هل قرأ أحد روايَة (الغريب) لكامي ؟ إنّ القتل يأتي من مجرد انعكاس ضوء الشّمْس بقوَّة على عيني بطل الرِّوَايَة، إنه فِي حالّة غليان لا يعرفها النَّص، لأن النَّص القَانُونِي يتحدث عند وقوع الفعل لا قبله ولا بعده، بغير ذَلِكَ تُصبح أعمال الرَّأفَة ووقف التّنفيذ والاختيار بين الحَدِّ الأقصى والأدنى للعقوبَة درب من التّخمين ؟! أثناء ذَلِكَ تركت الدَّرْس، قالت لِي وهِيَ تنصرف: نتقابل فى الكاس المقدس؟! فلم تكن المحاضرات فى علومها ،ولكنا كنا نتردد على كل انواع الدرس بسهولة داخل الجامعة. كانت شُعلّة من سعادَة تحظى بحريَّة، وتذعن لسنن فوق مَدَاركي.. وقتها حين التقينا همست بأننا فى البقعة السحرية بفرنسا! وحكت لماذا؟! "فهناك سلالة من الحراس لحمايتها دعوا أنفسهم حراس الهيكل بعد أن اختفى الكاس المقدس !!وكان يقال ان دم المسيح المتساقط من صلبة.. حملها الرامي فى كاس وذهب بها إلى بريطانيا وهناك أسس للعثور على هذه الكأس وعلى هذه القوة الاعجازية هدف فرسان الدائرة (فرسان المعبد) التي كونها الملك آرثر الذي حكم بريطانيا في نهاية القرن الخامس الميلادي وبداية السادس.وفي فرنسا انتشرت هذه الأسطورة بصورة كبيرة وكتب عنها الكثيرون في صورة رموز وألغاز وأسرار، وحولوا دم المسيح إلى نسل للمسيح والكأس إلى رحم مريم المجدلية، الذي حمل نسل المسيح، وزعموا أنه من المحتمل أن يكون المسيح قد ذهب بعد القيامة مع مريم المجدلية وأطفالهما، التي تخيلوا أنه يمكن أن يكون قد تزوجها، إلى

ما يعرف الآن بجنوب فرنسا ــ حيث ما يتوهم انة هنا فى هذة المنطقة طبقا لخيال الكتاب ــ وأسسوا هنا بجنوب فرنسا سلالة ملكية تحمل دم المسيح المقدس، هي الميروفينجيان "Merovingian's"،

أستسلم لسرد حكايات البنات وأنا اتلصص على السعوديات الجميلات ونبرات صوتهن العالية لم تجعل هناك اسرار؟! رسم خيالى تقارب بين الواقع والخيال وبدى سردهن الطازج يروق لى ... وبدأت الذاكرة تكتب خيالها منتحلة من رواية"بنات الرياض" عن (قمرة..وخطيبها "التنبل")ــ وهذا اسمة عند شلة البناتــ الذي اختاره أهلها لها وتزوجته: "تنهي قمره المسح بيديها على سائر جسدها بحركة سريعة.وصلت محمرة الوجه والجسم.لعريسها "وهى اول من تزوج من البنات" قمرة على طرف السرير، في غتها بفندق جورجونيه في فينيسيا . تمسح فخذيها وقدميها بمزيج مبيض،من الجليسرين والليمون أعدته لها والدتها، وقاعدتها الذهبية تملأ ذهنها ' لا تصيري سهلة ' التمنع في السر لإثارة شهوة الرجل.. نزعت ثوب زفافها وارتدت قميص نومها السكري الذي ارتدته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتها ،. بعد أن تناولا العشاء في مطعم الفندق. صعدا إلى غرفتهما وبدأت تلاطفه على استحياء ، بعد دقائق من المداعبة البريئة صار هو المتحكم بزمام الأمور أغمضت عينيها بانتظار ما تتوقع حدوثه ، وإذا به يفاجئها بفعل لم يخطر لها على بال لقد قلبها على وجهها وركبها من الخلف! كانت ردة فعلها المفاجئة له ولها في حينها أن صفعته بقوة!! الفتاة الهادئة التي تزوجت شخصاً لم تره إلا بالرؤية الشرعية تبدأ حياتها

الزوجية في شيكاغو ببرود وتنافر عاطفي، يجبرها الزوج على ترك الحجاب، ثم يأمرها بلبسه مرة أخرى لكونها بشعة بدونه! تكتشف خيانته مع فتاة يابانية ثم يفاجئها بالطلاق فتعود إلى الرياض"ص٢٠٠ لتقاسي من تعليقات الناس ومراقبتهم وحياة الوحدة حتى أصبحت على استعداد كما تقول :

"أنا على العموم ما عندي مانع يجيني أيّا كان، يجي نظيف، يجي وسخ، يجي محرول بس المهم أنه يجي! أنا مستعدّة أرضى بأيّ رجّال! ملّيت يا بنات خلاص! ما باقي إلاّ شويّ وانحرف" ..

و الفتاة الثانية فى الشلة.. سديم التى أحبت وليد، وعملت ما رغب منها بعد إلحاحه الشديد معتقدة أنّ لها التّمادي معه في العلاقة حيث أنها بحكم الشرع والمجتمع هي زوجته. لكن وليد بعد أن دفع سديم لمُضاجعته احتقرها وتركها،وقطعَ كلّ علاقة بها ممّا سبّبَ لها الألمَ والعذابَ والمعاناة طوال حياتها.

"ارتدت في تلك الليلة قميص النوم الأسود الشفاف، الذي اشتراه لها، ورفضت أن ترتديه أمامه يومها،ودعته للسهر،في بيتها دون علم والدها، الذي كان يقضي الليلة، في مخيماً في البر، مع أصدقائه. الورد الأحمر الذي نثرته على الأريكة، والشموع المنتشرة هنا وهناك، والموسيقى الخافتة التي تنبعث من جهاز التسجيل المخفي، كلها أمور لم تثر انتباه وليد، كما أثاره القميص الأسود، الذي يكشف من جسمها أكثر مما يخفي"

.....

وبما أن (سديم) كانت قد نذرت نفسها تلك الليلة لاسترضاء حبيبها وليد، فقد سمحت له بالتمادي معها حتى تزيل ما في قلبه من ضيق تجاه تأجيلها لزفافهما. لم تحاول صده كما اعتادت أن تفعل من قبل، إذا ما حاول تجاوز الخطوط الحمراء،التي كانت قد حددتها لنفسها وله، في بداية أيامهم بعد عقد القران، كانت قد وضعت في ذهنها أنها لن تنال رضاه الكامل،حتى تعرض عليه المزيد من (أنوثتها)،ولا مانع من ذلك، في سبيل إرضاء وليد الحبيب، ومن أجل عين، تكرم مدينة. انصرف وليد بعد أذان الفجر كعادته، إلا أنه بدا مشتتاً وحائراً على غير العادة. اعتقدت أنه يشعر بالتوتر مثلها بعدما حصل. انتظرت (سديم) اتصاله المعتاد بعد وصوله إلى منزله، خاصة، وأنها بحاجة ماسة لرقته وحديثه بعد ليلة كهذه، لكنه لم يتصل. لم تسمح (سديم) لنفسها بالاتصال به، وانتظرت حتى الغد، ولكنه لم يتصل أيضاً،قررت على مضض، أن تمهله بضعة أيام حتى يهدأ، ثم تتصل هي به لتستفسر عما به.

مرت ثلاثة أيام و(سديم) (ما جاها خبر). تخلت عن ثباتها، واتصلت به لتجد هاتفه النقال مقفلاً، ثابرت على الاتصال به على مدار الأسبوع، وفي أوقات مختلفة، علها تنجح في الوصول إليه، ولكن هاتفه النقال ظل مقفلاً، وخط غرفته الثابت، مشغول باستمرار! ما الذي يجري؟ هل أصابه مكروها ؟

هل ما زال غاضباً منها إلى هذا الحد؟؟ حتى بعد كل محاولاتها لاسترضائه ؟ ماذا عن كل ما منحته إياه في تلك الليلة ؟هل أخطأت؟ بأن سلمته نفسها قبل الزواج ؟ ويلاه ! جُن وليد ؟؟ أيعقل أن يكون هذا ما دفعه للتهرب منها منذ

ذلك اليوم ؟ ولكن لماذا؟ أليس هو زوجها شرعاً منذ عقد القران؟! أم أن الزواج هو القاعة الضخمة والمدعوات والمطربة والعشاء؟؟ ما هو الزواج؟ وهل ما فعلته يستحق أن يعاقبها عليه؟ ألم يكن هو البادئ بالفعل؟ ألم يكن هو الطرف الأقوى؟! وتصف الحال بينهما بعد أن قرر وليد الانفصال عنها. فتقول: "هل اعتقد وليد أنها فتاة "مجربة"؟ هل كان يفضل أن تصده ؟! هي لم تفعل أكثر من التجاوب! وهو الذى فعل كل شيىء!!"

.....

الفصل الثانى

(١)

على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّةعلى مدى أربعَة أيَّام ــ سنويًّا ــ يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم وفي الْوقت نفسه تكون مناسبَة لمسلمي أوروبا..وفرنسا بشكل خاص للاطلاع على آخر الإِصدارات من الْكتب والأشرطَة الْمُسَجَّلَة الَّتِي تشرح وتُوَجِّه وتدعو إِلَى التَّمسُّك بالْممارسات والتطبيقات والتعليم الديني،وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا"وهو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ "الإِسلام فِي فرنسا" حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إِسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم فشعار هَذَا الْعام يدل على أن الاتحاد لا يريد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم كانت فرصة ساقها الْقَدَر (أربعَة أيام) للإِطلال على الْمسلمين خارج ديار الإسلام . هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر

الْعلاقَة مَعَ الْمَغْرِبيَّة، ابنَـة مَرَاكِش، الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَـة حدَّ الْعِشْق. كان هَذَا الأمر مؤثِّرًا على علاقَتِي بزوجتي ساد بيننا صَمْتٌ مُطْبق واستمر أكثر من أسبوع فقدت خلاله طريقي إليها، بل ضاع مني مفتاح مدينتها! الْحقيقَة أن هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان.وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إلَى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الْغُربَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة.(المغربية) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولمَّا كُنْت فِي الْحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء ..

أصابني الْعطَب وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف. كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إلَى حضن. كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة،وألعب سياسَة فِي الْعشق ؟! من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟!

اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُطالب بتبرُّعات لِبناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها؟! فكان التَّركيز أكثر على التّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإِسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع ارْتِدَاء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي الْمدارس،ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إلَى أن يخلعن الْحجاب وفي الْمُقابِل صدر قرار

سِيادِي لــ (دي فيلبـان) وزيـر الدَّاخليَّـة الفَرَنْسِيـــ بتعلـيم وتكـوين أئمَّـة المساجد فِـي فرنسـا فِـي (جامعَـة السـوربون) ويبلغ عدد هؤلاء الأئِمَّة نحو ١٢٥٠ إمام مسلم فِي فرنسا، وبرنـامج تـدريب الأئمَـة يقـوم أساسـا علـى تعلـيم اللُّغَـة الفَرَنْسِـيَّة،ومبادئ القـانون، والنظـام السياسـي الفرنسـي، والتـاريخ الفرنسي، وثـاني خطـوَة تقدم بِهَـا دي فيلبـان هـي تشكيل رابطَة إسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم العلاقات بـين المسـلمين فِـي فرنسـا والسـلطات الرَّسـميَة الفَرَنْسِيَّة،ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبَرُّعات والأموال مـن فرنسـا والخـارج لرعايَـة شُـئون المسلمين فِـي فرنسـا بشـرط أن تكون تحت سمع وبصر الدولـة؟! وبـذلك يَكُون (دي فيلبـان) قد منـع تمويـل المساجد من الخـارج، وأوقـف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا .واعلن بـأن ذلـك لمواجهـة الارهـاب فهنـاك اسـلاموفوبيا بـين الفرنسيين؟!وسـط كـل هَـذَا المشـهد الـدِّينِي تَـأتِي خـواطر مضْطَربَة، أُحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتيى

" عندما أوشكت على الدِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنهـا أحاطـت خصـري بسـاقيها وهِـيَ تقـول :لا..لا.. ابـق.!!"ولكنى اعتـدلت وقمت..فتأففـت وقامـت خجلـة تستحم؟!! أأنـا الأوَّل أم مجـرد عـابر سـرير؟ همهمـت مَـعَ نفسي ..أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حبك فِي شكل خطيئَة؟!

ما أجمل ما حدث بيننـا، مـا أجمل الَّذِي لم يحدث، مـا أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنـا. ففى لحظَة من أَجَلِّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي

اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرَّ الْوجود الأعظم!

كانت قد نجحت لجذبى للبن المحوج فى بيتها ..جذبتنى للعسل على شرف رواية سلوى النعيمي "برهان العسل" والغريب انها ترجمت حديثا للفرنسية باكبر عائد مادى لكاتبة،لتسبق نوال السعداوى ونزار قبانى ؟!ووزعت بباريس ١٥ الف نسخة ووضع على الغلاف صورة امرأة عارية فى حالة انتظار بالوضع الفرنسى المعروف فى الجنس ؟! فهل الفرنسيون مهتمين بالجنس ولايزالون ؟! تقول البطلة فى الراوية:(هناك من يستحضر الأرواح، أنا أستحضر الأجساد. لا أعرف روحي ولا أرواح الآخرين. أعرف جسدي وجسدهم) رواية النعيمي لا تخفي تبنّيها لكل التجارب التي تعيشها بطلة روايتها، بل إنّ هذه البطلة توحي بأنها نسخة للمؤلفة

تقول حبيبتى المغربية الخمرية: هى قصتها ؟! اشم ذلك فى رائحة حروفها!

وما يهمنا هو أن سلوى النعيمي ترفع شعار نبش المكبوت والمسكوت عنه، وتنتقد ما تسميه "مجتمع التُقية" العربي الذي تقول إنه لم يكتشف بعد "أنّه لم يبق من الثالوث المحرم إلا اثنان: الدين والسياسة.. سقط الجنس من منخل الرقابة، أو إنّها وسّعت فتحاته، بل انها ترى ان العربية لغة جنس تبللها ؟! فى مواجهة ادباء الفرانكوفونية الذين رغم عروبتهم يكتبون بالفرنسية تحت حجة ان العربية لا تعرف كيف يكون الجنس ؟! يدفعها إلى رواية حكايتها مع «المفكر»

الذي التقته في أحد المؤتمرات، والذي يحتل المساحة الأوسع في حياتها وجسدها.

تضحك المغربية وتقول: المفكر حقيقة ..فلسلوى نعيمى نص فى التسعينات "كتاب الأسرار" تتحدث فيه عن المفكر تحت عنوان (قيلواة) وقد قابلته فى مؤتمر عن المرأة ــ كان يراودها عن نفسها بعبارة "مارأيك فى قيلولة؟".. فتضحك وتقول نعم ولكن وحدى.. ولكن فى اليوم الأخير بالمؤتمر مدت يدها ،وافسحت له مكاناً بسريرها؟! كانت ترى الرغبة الجسدية معدية ــ فهل لك فى قيلولة؟!

اقول: واين ظهيرة الشمس الحارقة بفرنسا؟فالقيلولة تعبير زمانى عن وقت تكون فيه الشمس عمودية على الأرض،فيهرب الناس من اشعتها الحارقة بالنوم

تقول: اليس تعبير جنسى عن الشوق؟عن شدة حرارة الرغبة؟!

[تبدأ الرواية من لقاء البطلة بـ «المفكر» " كان يقول لي النساء نوعان:المرأة الخسة، والمرأة الجمرة، وأنا أسأله بخبث، وهو لا يرد، بل يجذبني الى صدره وأرتمي عليه، ويقبل عيني وشفتي، وأنا أمص ريقه، ويحسس على بطني، وأفتح ساقي، ويدخلني عميقا ليحترق معي، أود أن أساله؟؟ والرجال كم نوعا؟؟ وتنسيني متعتي ولذتي كل الأسئلة".]

تقول النعيمي في روايتها " برهان العسل ": ["هناك من يعيش ويموت من دون أن يعرف طريق جسده وأجساد

الآخرين.كم تكومت من تفاصيل الظروف كي أكتشف وجود المفكر ويكتشف وجودي، كي أراه ويراني؟كم تكومت من تفاصيل الظروف كي تكون لحظة الكشف الأولى التي قررت كل شيء؟ هذا كله أستطيع الآن أن أحركه في ذهني، حبة حبة كالمسبحة، ولكنني يوم التقيته كنت بعيدة عن إدراك خيطها الذي بدأ يلضم الحكاية، حكايتي؟ الآن، وأنا أعيد قراءة ما أكتب، يخطر لي أنني نسجت للمفكر صورة أسطورية، لا علاقة لها به. صورة تتناسى كل ما يجعل منه هو. قلت له: كن، فكان كما خلقته أنا بكلماتي. هذه الصورة ملكي ولا علاقة له بها. يخطر لي السؤال وأنا أعيد الآن قراءة ما أكتب] ..

حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الجسد للجسد؟! وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ! ! قالت: اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد المُدَلَّل تطُوى.. قول قبلت بك عروس فترة وجودى بفرنسا،حلالاًوتمتع بى؟!

كان يفضل أن تصده؟! هو لم يفعل أكثر من التجاوب!

استغرب حين قالت:الأمام على تمتع بامرأة من بنى فحشل؟!

قرأت قوله تعالى :

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلّ لَكُم مّا وَرَاء ذَلِكُمْ أن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنّ فَآتُوهُنّ أُجُورَهُنّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِن اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

الْهمـت الـنَّفْسُ الْفجـورَ، فسـبحان مـن أَلهمهـا فُجُورَهـا وتقواها. أيقظت حسـي بـالعُريْ الْمُبْهج، الفائر، النـاعم . .كل كُؤوس الْحياَة الْمُتْرعَة بخَمْر الأحزان والأحلام، نشوَة ..كآبَـة ...سَكِر القلب الذي لا يراع ..

الْموقف تعدى الْملاطفَة.. أبدأ فِي الوصول لأحلى أوقات جنونـى؟!

مـاذا بعد الأعمـال التّحضـيريَة. أعُدُول أم شـروع١ *؟! أمُمْكِن أن يتراجع رجل الآن؟.. كيف تراجعْتَ يا يوسفُ ؟! كيف أيُّها الصِّدِّيق.. أقاوم حارسي الدَّاخلي؟ولا شـهود علـى تعذيب سجان؟ لم أشم رائحة النبي يوسف!

هي ــ أنت فِي أحضاني، ألم تسمع نجيب محفوظ فِي (السَّرَاب) وهو يقول "أعظم واجب فِي الدنيا أن تلاعب فتاَةً جميلَـة تحبهـا"؟! فأنـا الجـنس المقـدس٢ *!! أنـا مانحـة

- الشّروع هو الْبدء فِي تنفيذ فعل بقصد ارتكاب جنايَة أو جُنحَة اوقف أو خاب أثره لأسباب لا دخل لإرادَة الْفاعل فيها , ولا يعتبر شروعًا في الْجنايَة أو الْجنحَة مجرد الْعزم على ارتكابها، ولا الأعمـال التّحضـيريَة لـذلك, وتعين قانونًـا الْجنح الَّتِي يعاقب علـى الشّروع فيهـا وكـذلك عقوبَة هَذَا الشّروع فإذا لم تعين الْجنح بنص فلا عقاب على الشّروع فِي الْجنحة.

- يلحـق بالهياكـل (فِـي سـومر) عـدد مـن النِّسـاء مـنهن خادمـات ومـنهن سـراري الآلهَـة أو لممثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض (الرِّجَال) ولم تكن خدمَة الهياكل على هَذَا النَّحو الْجِنْسِي يعتبر عارا - وكان على امرأة من نساء بابل (كما ذكر الْمؤرخون ومنهم هيرودوت) أن تذْهب مرَة فِي حياتها لمعبد الآلهَة ميليتا (Mylitta) حيث تجلس تنتظر أي رجل يدخل إلى الْمعبد فإذا أعجب الرَّجل بشكلها ألقى فِي حجرها قطعَة من الْفضَة ثم مارس معها الْعمليَة الْجِنْسِيَّة داعيا لها أن ترعاها الآلهَة ميليتا ولم يكن مسموحا للمرأة أن ترفض ما ألقي فِي حجرها؟! فإذا ما انتهت الْعمليَة الْجِنْسِيَّة وانتهى معها واجبها الديني تركت الْمعبد وعادت إلى منزلها!!وقد استمر الْبغاء الْمُقدَّس فِي بابل حتَّى الْقرن الرَّابع قبل الْميلاد، ثم أمر بإلغائه الإمبراطور قسطنطين حوالي سنَة٣٢٥ ق .م وكان اسم آلهَة الْمعبد يتغير من بلد، فِي بابل كانت الْبغايا الْمُقدَّسات يخدمن فِي معبد الآلهَة ميليتا، وفي كلدانيا وسوريا حلت محل الآلِهَة

البهجـة؟! فلمـاذا أنـت (ظـاهرَة مُنَافيَـة للطَّبيعَـة) أن تسـعى لهـدف، فـإذا أصـبح بـين يـديّكَ تركتـة؟ انسـبت كيـف كنـت تطاردنى فـي الكلاس؟!وتحضـر دروسـى وهـى مختلفـة عن ماتدرس؟! فأنت من سدنة الحكومـة تكيل الإتهامـات للبشر، أنـا إجتماعيـة حـرة تـدافع عـن البشـر،أنت تريـد أن تحمـى الدولة من ضعف الإنسان ،وأن اطبطب علـى هذا الضـعف واحميـه مـن اسـتبداد الدولـة المهين،أنـت وثنـى أمـام تمثـال القانون، أن مرتدة عن عبادة وثنك،؟! فالقانون الذى يصـنعة بشر،ويعدلة بشر،يجب ان يخالفة البشر؟!

قامت فِي غلالتها الْحمراء الشّفافَة .. تألّقت أنوثَتُها ..

وهكذا نجحت معى المفكرة المغربية..كما نجح من قبل مفكرذكـر فـى "برهـان العسـل" ـــ مـع قرائتنـا الروايـة و قهوتها المحوجة بالعشقـــ عرفنا أن برهان العسل هوالعسل نفسه : «كنـت أصـل إليـه مبلّلـة، وأول مـا يفعلـه هـو أن يمـد إصـبعه بـين سـاقي، يتفقـد العسـل كمـا كـان يسـميه، يذوقـه ويقبّلني ويوغل عميقاً في فمـي»..." أكبـر لـذةٍ بعـد ممارسـة الحب هي الحديث عنه"..."أنـا لا أنـام مع رجل أنـا أصـحو". لـم يكـن هنـاك غيـر جسـدها ،والكميـاء القاسـية التـي تشـبه

ميليتـا الآلِهَـة "عشـتروت" (Astarte)، وفـى بـلاد الْفـرس كـان هُنَـاكَ معبـد الآلِهَـة ميتـرا (mithra) أرمينيا معبد أنايتيس (anaitis) وعلى حدود بلاد الْعجم معبد الآلِهَـة أرتميس (artemis) وكانت الْبغايا الْمُقدَّسات يتألفن من طبقَة الْكاهنـات يطلق عليهن (حريم الإلـه) واشتهرت فِي روما فِي معابد الرَّومان الْبغايا الْمُقدَّسات لدى الآلِهَة برياب وباكوس ومتينوس وغيرها .. ويقول كولن ويلسون: إنه لا يرى لهذا الْمعنى إلا أن يَكُون الإله له أعضاء جسديَة وله علامات الذُّكُورَة.؟! الْمهم أن الْعذراء بعد ممارسَة الْجنس تكتسب التَّقديس وتصبح امرأة ومقدسَة فِي وقت واحد . وقد ظل الْبغاء الْمُقدَّس موجودا حتَّى عصرنا هَذَا فِي بلاد منها: الهند واليابان وتفتح الْمعابد أبوابها فِي الهند والسند لاستقبال الْفتيات اللائـي يهبن أنفسهن للآلِهَة ويخصص بعض هؤلاء الْفتيات لإرضاء حاجَة الرِّجَال الْجِنْسِيَّة (حجاج الْمعبد) وغير مسموح لهن أن يتزوجن؟! يقول جيمس وعدد أخر من الْعلماء: إن منازل الْبغايا حلت كتطور طبيعي محل الْمعابد الْمُقدَّسَة وظلت تؤدي الْوظيفَة الأساسيَة لها، وهِيَ إرضاء شهوات زوار هذه الْمنازل واللذين كانوا من قبل زوار الْمعابد!

سريان اشد أنواع المخدر فتكا للجهاز العصبى! ..اتذكر.. فأكبر لذةٍ بعد ممارسة الحب هي الحديث عنه.. فنحن لا تنام مع النساء نحن تصحو معهن. فالناس نيام فإذا جاء الجنس انتبهوا؟

(٢)

ــ أتريد قهوَة؟

" يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. . أنا. . أنا. . أنا أهوى "

يأتي الصوت فيحتال عليّ. .أهو من "زبيدَة" الْغائبَة. أم هو صوت زوجتي؟

يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. . وتأتي الذكريات. وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي. أما "زبيدَة" الْمَغْربية فهيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنها غيرت قميصها ــ فجاءت بقميص نوم أصفر؟ ! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن.. . قالت: قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر. وإذا شربت الْماء. . رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. . تلبس كل ما عندها. . وتقول كل ما تعرف. ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة

الْمُرَّة أيضا!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟!

اشتقت "المغربية" لأحاورها.هذه الْمرأة الْمنفلتَة من النَّص، أتشوق لصدفَة تجمعنا. من الْمؤكد سيكون لها مدخل مختلف فِي الأمر، اذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر ما في الْقلب يصغر عن ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!! أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ أئذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو مجرد وجودي الدُّكُوري معها. يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. وبنا أعجبها الْوضع الْحالي؟! إن (علي) جاء واللولب موضوع ؟!ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟! أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه.. فكذبت الْعلم بالْكيد؟! أكان فِي عيني بيان الْفرا ر،فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة اخرى؟! أم هو استثناء الْعلم؟!.يا للنساء. ! على كل حال بقي للحكاية نكهَة الْفحولَة. حين أحكي بأن الْعلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق،وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة!! وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب؟! ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج!

زوجتي تلف وتدور بمنزلنا الصَّغِير "أستوديو" كالفراشَة حائمَة على النَّور، تراود الصَّغِير على كوب

اللبن، وتغسل الأواني، وتكلمني من باب التّسليَة. نظرية جديدَة تتحدث عنها باريس، المولهة بالفراعنَة

تقول: "إن رُفَات سيدنا يوسف لم تغادر مصر وإنه دفن بِهَا ولا تزال مومياه فِي الدور الأول من المتحف المصري بميدان التّحرير، وإنها لم تخرج مَعَ موسى وقومه، ولكن المومياء وضعت وحفظت تحت اسم "يويا" وهو الاسم الذي عرف به فِي حياته مشابه لاسم "يوسف". اهتمت زوجتي بالأمر بحكم دراستها للآثار – ولأني لم أسمع منها شيء عن الفراعنَة طول معاشرتنا فقد أرجعت ذَلِكَ للفراغ. وتستمر وقد بدأت تقليب الطعام وتقطيع البصل.

تقول : يويا هو يوسف وهو جد أخناتون عند عالم النَّفس اليهودي "فرويد" الذى اعترف فِي كتابه موسى والتّوحيد أن الديانَة اليهودية منقولة عن عبادَة أخناتون، وأن اليهود حملوا معهم عندما خرجوا من مصر تعاليم ديانَة أخناتون!! تعرف يا زوجي العزيز. . يوسف أو يويا أنجب بنتا وولدا اسمه آي، وقد تزوجت ابنَة يويا أو سيدنا يوسف، أحد فراعنَة مصر وهو "أمنحتب الثالث" وقد أنجبت له ثلاثة أبناء هم: أمنحتب الرَّابع وأخناتون، وسمنخرع، الذين تولوا حكم مصر. أما الابن فهو الملك "آي" الذي حكم حوالي ٤ سنوات وعلى هَذَا الأساس فإن يوسف يعتبر جدا لأخناتون والجد الأكبر للملك توت عنخ آمون. أتحب الكارفس فِي السلطَة؟ ! عاد النَّبي يوسف ليطل بسيرته، اللهم اجعله خيرا؟!

قلت: متى كان سيدنا يوسف عليه السلام فِي مصر؟

قالت: بالضبط لا أحد يعرف ولكن العلماء لهم اجتهادات جيولوجية، فمن بين هذه الاجتهادات:إن البركان

الـذي انفجـر فجـأة فِـي جزيـرَة سـانتورتني اليونانيـة سـنَة ١٦٢٨ قبـل الْمـيلاد، أدى إِلـى انتشـار سـحب الْكبريـت فِـي السماء علـى ارتفـاع ٢٠٠ متـر فغطـى مـا بـين تركيـا ودلتـا مصر، وأدى ذَلِكَ إِلَى الْجفاف وإِلى الْبرودَة الشّديدَة فماتت النَّباتات وجاع النَّاس فِي الْعصور الْقديمَة". قبل ذَلِكَ بقليل تنبأ يوسف عليه السلام لملك مصر بأن سنوات من الْجفاف والجوع سوف تسود مصر، ولذلك نصح الْملك بأن يقيم صوامع الْغلال حتى لا يجوع النَّاس فِي سنوات الْجفاف وفي هذه السنوات جاء إخوة يوسف إِلَى مصر، ومعنى ذَلِكَ أن يوسف عليه السلام ربما عاش فيما بين ١٩٠٠ قبل الْميلاد و ١٣٥٠ قبل الْميلاد، فِي عصر الْملك "خبان" أقوى ملوك الهكسوس.

(٣)

زواج متعة لمدة ساعة؟ فيلم عرض بفرنسا بعنوان اهبك المتعة،لسوء الحظ اختارتة زوجتى من بين خمسة افلام تعرض بمول مواجه للطريق المؤدى لقبر نابليون بونابرت، الفيلم وثائقي إيراني للمخرجة الإيرانية (سودابه مرتضى) يتعرض لظاهرة زواج المتعة في جمهورية إيران الإسلامية، وفي هذا الفيلم تمكّنت المخرجة من إلقاء بعض النظرات الفريدة على هذا البلد ذي الجوانب المتعدِّدة..يُقال (من وجهة النظر الشيعية) إنَّ النبي محمدًا قد أوصى أتباعه بالزواج المؤقّت حين يكونون على سفر، وبحسب الرواية فقد وافق النبي على زواج المتعة في ظروف معيَّنة،على سبيل المثال في أوقات الحرب،أو في الحج؟! وتسمى هذه الممارسة في اللغة العربية بزواج

المتعة وتعرف في اللغة الفارسية باسم "زيجة". يتجه بنا الفيلم إلى طهران؛ حيث نجد رجل دين يبدو مظهره من القرون الوسطى، يجلس بعمامة سوداء وعباءة خلف مكتب. ويبدو أنّه ملم خير إلمام بالمسألة التي يُسأل حولها. يسند هذا الرجل ظهره إلى الخلف على المقعد ويقول: "يجوز للفتاة العذراء عقد زواج متعة من دون ممارسة الجنس؟! إذ لا يجوزأن تتم أية عملية إيلاج، لامن قُبُل ولامن دُبُر"،ويحك أذنه بخجل،ويضحك وتظهر من ضحكته بعض الفجوات بين أسنانه،ثم يضيف: (فكّر القانون الإسلامي الحنيف بكلّ ذلك ف المتعة عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم إلاّ بالعقد الدالّ على قصد الزواج صراحة، وانّ المتمتَّع بها يجب أن تكون خالية من جميع الموانع، وانّ ولدها كالولد من الدائمة من وجوب التوارث، والإنفاق وسائر الحقوق الماديّة، وانّ عليها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها وهي في عصمته اعتدّت كالدائمة من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار على أنّ الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإدراكه بوضوح، أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة وعدم تحريمه ــ وهو ما يعلنون عنه صراحة ودون تردد ــ إلاّ أنّهم لا يلجأون إلى هذا الزواج إلاّ في حدود ضيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوره البعض من كونه ظاهرة متفشية في مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.) تميّز الفيلم بلقاءات حقيقية بين متتبعى المتعة مثل هذا اللقاء في مكتب أحد رجال الدين.يصل له شاب ويسلم ويقبل يده،ويهمس له السؤال: هل يشترط في الزواج الموقت و الدائم حضور شهود ؟ الجواب:العقد المنقطع و الدائم لايحتاج الى حضور

شهود ،يلتفت الشاب ويعود يهمس السؤال: اذا كان زواج المتعة محدد لمدة ساعة و استمر الجماع اكثر من ذلك هل وقعنا في الزنا ؟ الجواب: نعم] يخرج الشاب ويقابل سيدة ويقول لهانتفق على اربعة ساعات وضعف المهر فتوافق ضاحكه،تمضى خلفه،وهويسبح فى سره ويقول بصوت مرتفع :إلا الحرام؟! وتضج القاعة بالضحك.

ويسلِط هذا الفيلم الضوء على ظاهرة زواج المتعة في إيران المعاصرة وحدها ومن أجل إنجاز هذا الفيلم التقت المخرجة النمساوية من أصل إيراني، سودابه مرتضي بعض رجال الدين وأبناء الطبقة الوسطى والشباب، وقد سألتهم حول هذا الموضوع الذي يعرفونه جميعهم معرفة جيدة.ومن وجهة النظر الشيعية كانت تتم ممارسة زواج المتعة قبل ظهور الإسلام، وبعد ذلك في عهد النبي محمد، ولكن بعد فترة قصيرة ألغى "المتشدِّدون السنَّة"زواج المتعة.إذ كان الخليفة الثاني(عمر) ينظرإلى(زواج المتعة)على،أنَّه(زنا)واعتبره محرمًا، ويقولون (قراره كان سياسياً، اكثر منه دينياً) وفي نظر الشيعة كان هذا تدخلاً متعمَّدًا في تقليد أقرَّه النبي محمد. وفي المقابل يتَّهم أهل السنَّة الشيعة بأنَّهم لا يبتغون بزواج المتعة شيئًا آخر غير الدعارة. وهكذا لا يتم تطبيق زواج المتعة في يومنا هذا إلاَّ لدى الشيعة وخاصة في إيران،ونادرًا ما كان يتم تطبيه في العراق،حتى كانت حروب العراق المتعددة مع ايران والكويت وتدخل الغرب القبيح فى حرب تدميريه لقوة صدام. ولما كان الأصل فى زواج المتعة في إيران (يستهدف النساء الأرامل.)امتد بنفس المعيار سراً بالعراق،ولكنه يشكِّل اليوم،وخاصة بالنسبة للشباب، ثغرة

جامـدًا، فعلـى الـرغم مـن أنَّ زواج المتعـة مكـروه فـي المجتمـع. ونظريًـا يسـتطيع الأزواج الشـباب عقـد زيجـات دائمـه، إلا انهم يفضلون من خلال زواج المتعة (من دون عقد زواج تقليدي) ممارسة حياتهم الزوجية.وفي كلّ عقد زواج متعة يتوجَّب على الرجل دفع مبلغ محدَّد لزوجته قبل إتمام الزواج. ويتم تحديد مدة الزواج في عقد الزواج، وكلّ شيء ممكن ــ من بضع ساعات إلى عدة أعوام. وهناك قيد واحد فقط: إذ يتحتَّم على المرأة أن تنتظر شهري العدة، أي أن تحيض مرتين قبل أن يجوز لها عقد زواج متعة جديد.ويبين الفيلم كيف طراء تعديل جوهرى على زواج المتعـة ،فبأتفـاق علنـى،أو بنيـة مضـمرة يتجنـب اطـراف الزواج الشباب أن يكون لهم اطفال منه؟! يصف في الفيلم رجل دين مسن هذه القاعدة بأنها معقولة ويقول: "إذا تزوَّجت المرأة بشكل دائم فأين سيكون الاختلاف في ذلك عن الدعارة؟"

ودائمًا عندما يتكلم رجال الدين، يبدو أنَّهم يتحدَّثون من عالم خاص بهم.وتبقى أقوالهم مثلما هي ومن دون تعليقات. تمكَّنت المخرجة سودابه مرتضى وبشكل دقيق من تصوير ابتعاد المجتمع عن رجال الدين في مواقف متجدِّدة.

إذ نشاهد على سبيل المثال رجل دين شاباً يسافر في سيارة أجرة من طهران إلى قُم تلك المدينة المعروفة بأنَّها مصنع رجال الدين في جمهورية إيران الإسلامية. وما أن وضع السائق سي دي موسيقى في جهاز تسجيل السيارة وارتفع صوت أغنية تقول:("هزي خصرك") حتى طلب منه رجل الدين الشاب أن يغلقه ويحافظ على الهدوء. ثم قال رجل الدين هذا إنَّ "هذه مشكلة"وأشار إلى الناحية الأخلاقية

،ولكنه لم يستطع اخفاء ابتسامته. وفي مشهد آخر يتعرّف المشاهد على المشكلات التي تدفع الرجال الذين في منتصف العمر مثل سائق سيارة الأجرة هذا إلى زواج المتعة: فالسائق، المنحدر من أصفهان، يبدو أن عمره أكثر من أربعين عامًا، ولكنه ليس متزوجاً ولا يوجد لديه أطفال.وبما أنّه متقدم في السن فهو يجد صعوبة في استئجار شقة. ولذلك فقد نصحته زوجته السابقة التي تزوجها بعقد زواج متعة بأن يعقد زواج متعة جديدعلى ارملة عجوز حتى يضمن تخفيف مصاريف النوم فى كمسيون، ولكن في الوقت نفسه يسلط هذا الفيلم الضوء بدقة على رجال الدين الإيرانيين؛ إذ يعرض شخصيات مختلفة تمام الاختلاف: من رجل الدين الشاب الذي كثيرًا ما يبدو غير واثق من نفسه إلى رجل الدين المتعجرف الذي يرتدي عباءة سوداء وعمامة، وحتى آية الله الملتحي في مدينة قُم.ويواجههم الفيلم جميعاً أثناء ممارستهم مهنتهم التقليدية هذه بالواقع الذي يشكّك وعلى نحو متزايد في حقِّهم القيادي.

ويظهر هذا بكلّ وضوح في المشهد الأخير: حين يرى المُشاهِد (مجموعة صغيرة من نساء يضحكن في مطعم ــ ويبدو مكياجهن مثل دمى باربي- يدخّن النرجيلة وقد أرخين حجابهن إلى الخلف بقدر الإمكان ليكشف عن قدر كبير من شعرهن، ويسخرن بصوت مرتفع، من رجل دين شاب، كان يجلس على طاولة مجاورة. ويقلن أيأكل هذا الرواياتي بالشوكة والسكين مثلنا؟!)

ويبدو أنّ فعلهنّ هذا استفز هذا المسكين الذي يركِّز عينيه بمشقة على طبق الطعام ويبتسم بامتعاض،فى الفيلم رجال الدين لا يأتون بالجديد،إنهم يحفظون،اجهزة

كمبيوتر،إنسانية ،يعنعنون ،عن فلان وعن فلان،يقولون طبقا لفتاوى السيد السيستاني دام ظله ويردون على السائلين

[السؤال:هل تؤيدون زواج المتعة بالعقد أو بدون العقد ؟

الجواب:زواج المتعة صحيح لابأس به و لكن لايمكن بدون عقد .

السؤال: هل زواج المتعة يحل للرجل المتزوج بدون علم زوجته؟

الجواب: يحل.

السؤال:هل زواج المتعة حلال أم حرام؟ الرجاء منكم التوضيح

الجواب:من أقبح الذنوب وأكبر الكبائر أن ينسب الانسان التحريم والتحليل الى الله بغير علم قال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب). وليس كل حلال يجب أن نقبله لأنفسنا ومن يتعلق بنا فلو خطب بنتك مسلم أفريقي شديد السواد نتن الرائحة قبيح الوجه هل تقبله؟! هذا مع أن ذلك حلال بل مستحب وأما دليل الجواز فهو الروايات الكثيرة جداً الواردة عن طرق أهل البيت (عليهم السلام) والعامة أيضاً لا ينكرون تجويزه في عهد من الرسالة المجيدة وانما يدعون نسخه في ما بعد.]

ويأتي سؤال من طالب يدرس بالخارج:هل يجوز زواج المتعة من الغير مسلمة؟!والجواب من شيخ الدين الشيعي: يجوز اذا كانت مسيحية او يهودية ... من الممكن اعتبار موضوع زواج المتعة كعلاّقة أرادت مخرجة هذا الفيلم أن تعلق عليها صورتها الخاصة عن إيران.صحيح أنّها صورة

كئيبة ومحزنة ومع ذلك يجب علينا أن نأخذها في عين الاعتبار

(٤)

هل اصبحت زوجاً للشيعية، بهذا العبث الذى كان شاهداً عليه رواية برهان العسل؟أم مؤمن آثم بفعله يطلب من ربه الغفران ،فلم يصل الأغواء لحد [المرود فى المكحلة]ولم يتعدى اللمم ما عرفت موضوعًا أرقنى وأرهقنى مثل هذا الموضوع, أصعب ما تكتشف أن ما تتعاطف معه وجدانيًا ليس بالضرورة هو الصواب, فقد يكون وقد لايكون, وأن الصواب المطلق أحيانًا عسير المنال, خاصة إذا كان لدى الطرف الآخر من المنطق بقدر ما لدينا من الشك, وعنده من الحجج بقدر ما عندنا من علامات الاستفهام. ليس الأمر أمر لوم أو تساؤل بقدر ما هو أمر تمهيد لرياضة ذهنية مرهقة،ما أظن لها نظيرًا فى قضية فقهية أخرى, فطرفا الحوار مختلفان أشد الاختلاف السنة ترى أن المتعة حُرمت إلى الأبد,والشيعة ترى أن المتعة حلال إلى الأبد,والسنة تستند إلى مراجعها المعتمدة من صحاح وسنن ومسانيد وتفاسير ,والشيعة تبالغ فى استعراض قوة حججها بالاستناد إلى نفس المصادر, والاعتماد على أحاديث واردة فيها أيضًا,والطرفان يحتكمان إلى نفس الآيات القرآنية, لكنهما يخرجان منها بتفسيرات ودلالات لا تلتقى أبدًا ولا تتفق مطلقًا, بل يخرج هذا بعكس ما يخرج ذاك ويؤكده, ويخرج ذاك بنقيض تفسيرهذا وبسنده,وكل طرف يلقى بحجته فتظنها نهاية المطاف فإذا بالطرف الآخر يثبت لك أنها بدايته وأنها مردودة وأناحائر فى اختيارى ،خائف أن اكون

تزوجت متعة،و أنا ارفض زواج المتعة كما رفضه كبار الصحابة وأئمة التابعين :عمر وعبدالله بن الزبير, والأئمة الخمسة, أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وزيد, وغيرهم كثير، وهؤلاء، لايجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل،

وهى تقبل بزواج المتعة،وترى انكارة فى الدين من جانب السنة،كأنكار الكنيسة لمريم المجدالية وعندها جمعًا آخر من كبار الصحابة والتابعين قد ناصروه, منهم عبدالله بن عباس , عبدالله بن مسعود, وأبىّ بن كعب, وابن جريج, وقتادة, وسعيد بن جبير, وسعد بن المسيّب, والإمام جعفر،وما أظن أن هؤلاء أيضًا يجتمعون على خطأ أو ينتصرون لباطل * و اثارنى

---

* زواج المتعة : هو: أن يتزوج الرجل المرأة مدة معينة ، ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق . وليس فيه وجوب نفقة ولا سُكنى . ولاتوارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء مدة النكاح

يرى اهل السنة ان الرسول قد نهى عنه بوم خبير أو يوم الفتح والذين قالوا : حرم يوم خيبر قالوا : ثم أبيح في غزوة الفتح، ثم نهي عنه في اليوم الثالث من يوم الفتح. وقيل : نهي عنه في حجة الوداع، قال أبو داود : وهو أصح ويقول الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : لا أعلم في الإسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة .ويرى الشيعة بان الرسول لم يحرمه وانا حرمه عمر بن الخطاب استنادا إلى الكثير من الصحابة منهم علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر وغيرهم. والامام علي بن ابي طالب، فيما اخرجه الطبري بالإسناد إليه انه قال : " لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي " ويحدثنا بهز قال وحدثنا عفان قالا حدثنا همام حدثنا قتادة عن أبي نضرة قال قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير ينهي عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها قال فقال لي علي يدي جري الحديث تمتعنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم قال عفان ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الرسول وإنهما كانتا متعتان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء. وروى مسلم في صحيحه : عن ابن أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال : على يدي دار الحديث : تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة وأبتوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارةوفي ما ذكره الفخر الرازي قول عمر (متعتان كانتا علي عهد رسول الله حلالا وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء) ويحدثنا موسي بن إسماعيل حدثنا همام عن قتادة قال حدثني مطرف عن عمران قال (تمتعنا علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنها حتي مات قال رجل برأيه ما شاء) وعن فضل زواج المتعة عند الإثنا عشرية "الشيعة" عن الباقر قال قلت: للمتمتع ثواب ? قال إن كان يريد بذلك الله عز وجل

وخلافا لفلان لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له حسنة وإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبا فإذا اغتسل غفر الله له بعدد ما مر من الماء علي شعره قال قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر

قال الإمام ابن المنذر:(جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحدا يجيزها إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقولٍ يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) وقال القاضي عياض: (ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض). وقال الإمام الخطابي: (تحريم المتعة كالإجماع إلا من بعض الشيعة ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي رضي الله عنه وآل بيته، فقد صح عن علي أنها نسخت، ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد أنه سئل عن المتعة فقال: هي الزنا بعينه). وقال الإمام القرطبي: (الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل وأنه حرم، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض). وهذا الإجماع القطعي في التحريم، مستنده الكتاب والسنة

أما الكتاب: (١) ففي قوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون). والمرأة المتمتع بها ليست زوجة، لأن علاقة الزوجية توجب التوارث بين الطرفين، كما توجب على الزوجة العدة في الوفاة والطلاق الثلاث، وهذه أحكام الزوجية في كتاب الله تعالى، والقائلون بالمتعة من الروافض يرون أنه لا توارث بينهما ولا عدة. وهي ليست بملك يمين، وإلا لجاز بيعها وهبتها وإعتاقها، فثبت أن نكاح المتعة من الاعتداء المذموم.(٢) ومن دلالة القرآن على ذلك أيضاً قوله تعالى: (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) [النور: ٣٣]. ولو كانت المتعة جائزة لم يأمر بالاستعفاف ولأرشد إلى هذا الأمر اليسير، وقد تحققنا قيام أمر الشريعة على اليسر ونفي الحرج.

(٣) وكذلك قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم.....) إلى قوله: (ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم) [النساء: ٢٥] فلو جازت المتعة لما كانت حاجة إلى نكاح الأمة بهذين الشرطين. عدم الاستطاعة وخوف العنت. وأما استشهادهم بقوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) [النساء: ٢٤] فهذا لا حجة لهم فيه، بل الاستدلال بذلك على المتعة نوع من تحريف الكلام عن مواضعه ، فسياق الآيات كلها في عقد النكاح الصحيح، فإنه لما ذكر الله تعالى المحرمات من النساء قال: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) إلى أن قال: (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات.....) [النساء: ٢٥.

ولكن للشيعة رأى مخالف عن (النكاح المنقطع فى القرآن الكريم) ويرون الأصل في مشروعيته قوله سبحانه: (وحلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وأَنْ تَجْمَعُوا بينَ الاخْتَيْنِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إنَّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحيماً*والْمحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ كِتابَ اللهِ عَلَيكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ ما وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيرَ مُسافِحِينَ فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ولا جُناحَ عَلَيكُمْ فِيما تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعدِ الفَرِيضَةِ إنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً)(٢). الآية ناظرة إلى نكاح المتعة وذلك لوجوه : إنّ هذه السورة: أي سورة النساء، تكفّلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام والحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح في أوائل السورة على نظام خاص، أمّا الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: (وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعدِلُوا فواحِدَةً...)(٣). وأمّا أحكام المهر فقد جاءت في الآية التالية: (وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً)(٤). وأمّا نكاح الإماء فقد جاء في قوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ

تكرار النسخ في مسألة المتعة وىتبين لى انه أمر اختلف فيه أهل العلم،وترجيح النووي فيه بعد سرده قوله: والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين،وكانت حلالا قبل خيبر ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس لاتصالهما،ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة واستمر التحريم - شرح مسلم ٥٥٣/٣.فلماذا حللت ثم حرمت، ثم حللت ثم حرمت؟ ولماذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلل شيئا قد حرمه من قبل؟ ولماذا يحلل شيئا شنيعا ولو لفترة مؤقتة؟.اللهم لا اعتراض لكن الذي اختاره ابن القيم أن النسخ لم يتكرر في مسألة المتعة،

فعلى فرض تكرار النسخ فليس شيئا من ذلك من تلقاء نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من عند الله تعالى، فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبلغا ومخبرا عنه، وربنا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، ويسعفنى قول ابن بطال: وهذا حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله في دينه، ولرسوله في سنته، وبيانه لكتاب ربه، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم.وأغلب الظن ان الله

بَعْض فانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ مُحْصَنَات غَيْرَ مُسافِحات ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدان...)(٥). فقوله سبحانه: (مِنْ مَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ) إشارة إلى نكاح السيّد لأمته، الذي جاء في قوله سبحانه أيضاً: (إلاّ على أَزْواجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ...)(٦). وقوله سبحانه: (فانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) إشارة إلى الزواج من أمة الغير. فإلى هنا تمّ بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلاّ نكاح المتعة، وهو الذي جاء في الآية السابقة، وحمل قوله سبحانه: (فما استمتعتم) على الزواج الدائم، وحمل قوله: (فآتوهنّ أجورهُنّ) على المهور والصدقات يوجب التكرار بلا وجه، فالناظر في السورة يرى أنّ آياتها تكفلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاصّ، ولا يتحقق ذلك إلاّ بحمل الآية على نكاح المتعة كما هو ظاهرها أيضاً.

قد اراد برحمتـه أن يظـل هـذا الموضـوع مثـارًا, بـل مثيـرًا للخلاف, لحكمة ربما كشفتها لنا الأيام!

الفصل الثالث

(١)

كان الْوقت ذات مساء حين دق جرس الْباب.

نحن نستغرب ذَلِكَ بالطبع؟! فلا أحد لنا بفرنسا. .

خففت من إزعاج زوجتي، ولكن كانت مفاجأة أخرى عند فتح الْباب؟ !

فرنسي فِي زي حكومي يُسلِّمني " إعلان " بمثول زوجتي أمام قسم التّحقيقات الخَاصَّة بليون؟ ! أسأله: لماذا؟ ! وكيف عرفوا عنوان بيتنا؟ وما الْجرم؟

لا إجابَة. .إنه موظف عمومي يحمل أسفارا. أوقع على الإعلان فِي ذهول، وهو إعلان بلا أي هوية يعلنها بالْحضور خلال ٤٨ ساعَة السَّاعَة ١٠ ص للإدلاء بأقوالها فيما هو منسوب إليها، أمام قسم التّحقيقات الخاص، وهو يشبه النَّيابَة عندنا، وهو قسم يعرف بالشرطَة الْقضائية أي له عمل الاستدلالات وبعض أعمال التّحقيقات. كانت ليون لا تستهويني، وكنت أهرب منها لباريس، ونيس، ولولا الْمنحَة والدراسَة فِي جامعتها ما فكرت حتَّى فِي زيارتها. إن الأحياء فيها لها أرقام لا أسماء !! وفيها كثرَة من عرب شمال أفريقيا الذين لا يقيمون علاقات حميمَة مَعَ الْمصريين؟ وفي الاستاد الخاص بِهَا أعيدت لأول مرَّة مبارَاة رسمية فِي كرَة الْقدم بين منتخب مصر ومنتخب زامبيا الأفريقي، كانت مصر فائزَة فِي نفس الْمبارَاة بالقاهرَة، ولكن طوبَة من مُتَفرِّج بالْمُدرَّجات غير معروف،

وتمثيلية ساذجة من الفريق الزانبي، ونوايا سيئة وسياسَة وقلة حيلة مصرية أعادت المباراَة؟ ! لتخسر مصر المباراَة ومعها أمل الذهاب لكأس العالم؟ ! ليخرج عرب شمال أفريقيا والفرنسيين مبتهجين بفوز زامبيا!! لذا لم تكن ليون تميمَة حظ بالنِّسْبَة لي. . فلقد أعطت ما عندها لمصري وحيد هو " طه حسين ". اكتشفتُ بمناقشَة زوجتي بدقَّة فِي الأمر. . أنها أخفت أمرين وأتمنى أن يقتصر ما أضمرته عليهما فهيَ تُضمر الكثير كعادتها.

الأول: أنها لا تزال تُدمن حبوب منع الحمل!!

الثاني: أنها أرسلت بمقالة لمجلّة فرنسية بعد أن استولت عَلَيْهَا لعنَة الفراعنَة، ولكن الغريب أنها وقَّعَت ما كتبته باسم استعراضي: (مصرية فِي باريس).

.... (مثلما " هوَّدُو " تاريخ ألمانيا بالهولوكست، فغُرَف الغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا كانت تستخدم فقط لتنظيف الملابس من البقع ! يبدأ اليهود الآن تهويد تاريخ مصر!! وقد نشر مفكر فرنسي يُدعى بيير ماريه فِي دوريَّة (تحقيق ومراجعَة) الفَرَنْسِية فِي سبتمبر ١٩٩٢ مقالا من ٣ صفحات بعنوان " غُرَف الغاز النَّازية حالّة خاصَّة " تناول فيها المحرقَة النَّازية من زاوية علمية فقال إنه لو كان الأساس العلمي صحيحا فإن الفكرَة الَّتِي يروج لها اليهود عن اختناق كل هَذَا العدد فِي غرف الغاز أمر غير ممكن علميا وعمليا ــ بسبب كمية المياه الرَّهيبَة المطلوبة لتنفيذ ذَلِكَ الأمر. . وقال فِي النِّهاية الهولوكوست غير صحيح وغير ممكن منطقيا. ونقول إن ما سُطر عن أخناتون، والنبي يوسف، وأحمس، وحتشبسوت غير صحيح وغير ممكن منطقي. وذلك على التّفصيل الآتي: . . . . .)

أهـذه السـطور الَّتِـي بـدأت بِهَـا زوجتـي مقالتَهـا، وأرسلتها لمجلّـة " ليبراسيون " الْفَرَنْسِية كافيـة لكـل هَـذَا الرُّعب ــ رغم أن الْمقالّة لم تُنشر. ؟ ! أفهم الآن " الْبير كامي " حين يقول: إن ما يُعطي قيمَة للتَّرحال هو الخوف! إننـا نُسـافر للمُتعَـة، كذبَـة نُصدقها، ليس هُنَـاكَ أي متعَـة فِـي السفر، ولكنه فرصَة للامتحان الرُّوحي، فالسفر يعيدنا مرَّة أخرى إلَـى أنفسنا. لا أستبعد أن تستبدَّ بـي ــ عندما أعود لمصر ــ لوثَـة تجعلنـي كلمـا صحوت كل نهار أتلقـى أمـي بالأحضـان فِـي لهفَـة شـديدَة انبهـارا للحقيقَـة الْعجيبَـة أنهـا بجـانبي وأراهـا كـل يـوم! بقـي عنـدي سؤال مُؤرِّق. كيـف عرفوا عنوان منزلنا؟ !

دق جرس الْباب مرَة أخرى؟

فتحت الْباب طَلَّت الْفَرَنْسِية بلحمها، وتاييرها الْقصير كان لونـه أصفر فـاقع، الغريب أنها قبَّلتنـي علـى وجنتـي. . فكاد يُغشـى علـى زوجتـي، أمـا أنـا فنسيت الزمـان والْمكـان! أخرجت هديـة وقدمتها لزوجتيـ زُجاجَـة بارفـان مبهجةـ رداً علـى الحجـاب التـى اعطتـه زوجتـى لهـا للللـه فـي أيـام مسلموا فرنسا،باحت زوجتي، وهِيَ تبكي على صدرها بكل شـيء. مـا إن رأت الْفَرَنْسِيـة نُسـخَة الْمقالّـة الْمُرسلّة لمجلّـة "ليبراسيون" الْفَرَنْسِية حتَّى حلت اللوغاريتم؟

الفَرنْسِية ــ : أووه إنَّـه قـانون "جيسو"، شَوْكَة الْحالّـة الْفكرية فِي فرنسا قانون مُنْذُ صدوره عام ١٨٨١ نص علـى "تجريم كل محاولـة لمراجعَة الْحقائق التّاريخيـة الَّتِـي تؤكد وقـوع جـرائم ضـد الإنسـانية بالـذات تلـك الَّتِـي وقعـت ضـد

اليهـود، لتظهـر تهمَـة معـادَاة السَّـاميَة" *فالشـك فِـي الهولوكوست، أو التّشكيك فِي أعداد اليهود الذين ماتوا فِي الهولوكوست هو نهاية الْعالم، الأمر ليس سهلا.

زوجتي : ولكن مقالَتِي عن الآثار، عن تهويد تاريخ بلادي؟ !

ــ ذكرتي الأمر فِي بداية الْمقالَة (مثلما "هوَّدو" تاريخ ألْمانيا بالهولوكست، فغرف الْغاز الَّتِي صدَّعوا رءوسنا بِها كانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبُقع !) ثم إن الأمر فِي أساسه ضد اليهود، ضد السَّاميَّة. أصل الْمقالَة فِي الْمجلَّة، ونحن لا نعرف مَن أصحابها، ولا اهتماماتهم، ولا الْمصالِح الَّتِي تعنيهم، ولا علاقاتها بالجمعيات الْكثيرَة اليهوديَّة ؟! .. اصرخ فيها فى عتاب

ــ الْعرب "ساميون" يا سيدتي كيف نكون ضد أنفسنا؟! إن اليهود يعتبرونا أولاد عم. . فالجد الأكبر لنا النَّبي إبراهيم؟ !

الفرنسيةــ : إن قانون "جيسو"، يحرم علينا الاقتراب من الْفترَة بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٦ويتركنا أحرارا لندرس ال٤ آلاف سنَة تاريخيا كما نشاء؟ ! فلقد عُوقب بهذا الْقانون

---

* تنظر التّوراَة إلى الأمم والأجناس الَّتِي خرج بهم النَّبي موسى من مصر، ومن انضم إليه من الشّعوب الأخرى أنهم كيان واحد، وبذلك يَكُون يهودي كل من يعتقد فِي الديانَة اليهوديَة، فتكون اليهودية خليطا بين شعوب سامية وغير ساميَة. ولقد فشلت كل الْجهود الَّتِي بذلت من أجل إثبات تاريخية أحداث قصَة الخروج ولم يستطع الْمؤرخون وضع هذه الأحداث ضمن إطار تاريخي محدد.

الذي اقترح اسم السَّامية الْعالم الألْماني شلوترزر للدلالَة على مجموعَة الشّعوب الَّتِي عاشت فِي الطرف الْغربي من الْقارَّة الأسيويَة، مرتبطة لغويا وتاريخيا وحضاريا، وهي الَّتِي تضم الْعرب والْبابليين والأشوريين والأراميين والسريان واليهود وبعض قبائل الْحبشَة، ويقول الْعالم الْفرَنْسِي الأب هنري فليش: إنه ينبغي أن نفهم من استعمال كلمَة السَّامية أنها ليست أكثر من مجرد مصطلح لتيسير الأمر على الْباحثين دون قصد إلى أي دلالَة عنصرية.

- انظر، حسن ظاظا: الْفكر الدِّيني أطواره ومذاهبه، دار الْقلم سوريا ١٩٧٨ ص ١٠٣ ــ ١٠٤.

المؤرخ اليهودي "برنارد لويس" لأنه شكَّك فِي مذبحَة الأرمن الَّتِي ارتكبها الأتراك، وحكمت عليه المحكمَة العُليا الفَرَنْسِية رغم أنه يهودي، لأنه اقترب مما يُسمى حقائق فِي الفترَة المعنيَّة.

(٢)

ليس أمامنا سوي ٤٨ ساعَة – أتمثل زوجتي أمام إدارَة التّحقيقات عن جريمَة وهميَّة وقد تُحبس احتياطيا رهن التّحقيق وقد. . . .؟ ! هل يمكن ألا يجد ابني والدته معه؟ ! تكوَّرت زوجتي على ابنها آخذة وضع الجنين، وكأنها تودِّعه دموعُها تنزف لم أرها يومًا بهذا الانهيار! تقول ماذا سنفعل؟ اسألها هل لنا فِي فرنسا شيء؟ ما رأيك لو تركناها؟! إن لدي خطَّة ذات نتائج مزدوجَة، فتكون خطَّة هروب، وقد تكون كوميديا نضحك منها، الأمر يتوقف على الخطورَة،المهم لا تسألي انطلقي معي بالتّنفيذ. اهتمت، وأعطتني الاهتمام المطلوب، هزت قلبي من الأعماق لحزنها، فعدت لبقايا الفُرسان بداخلي، بسطت راحَتَيَّ للسماء: "اللهم اجعل حُزننا رمادا كما قلت لنار "إبراهيم" كوني بردا وسلاما" ضحكت وهِيَ تمسح دموعها

(٣)

أهبط لأتدبر خطورَة هَذَا الإعلان. وأنت ستهبطين بعدي ومعك علي، فتذهبي للكوافير فتقصي شعرك قصيرا، ثم تشتري باروكة صفراء، ويثبتها لكي الكوافير بإحكام، واشتري أيضًا بانطلون جينز ضيق آخر صيحَة، لا أريد أن أرى هَذَا الاندهاش فِي عينيك، إنها خطَّة هروب.؟! إلا من

أمل أن تكون مجرد كوميديا نضحك منها؟ ! تركت المنزل قبلها حاملا مجموعَة من ملابسنا القديمَة، واتجهت بِهَا إِلَى المغسلَة وطلبت غسلها وكيَّها، كنت أحب أن يظهر الأمر وكأننا فِي حياتنا العادية ! وقبل الذهاب لمكتبَة الجامعَة، اشتريت تذكرتين سينما حفلَة المساء للتمويه!! إحساس بأني مراقب ــ وإن كنت غير واثق من صحته ــ يفرض عليَّ إتقان الهروب. كانت لعبَة السِّينِمَا فِي خيالي مُنْذُ فعلها السَّادات يوم قيام الثورَة ! وفي مكتبَة الجامعَة تبيَّنت خطورَة قانون "جيسو"، * فلم تكن الفَرَنْسِية مبالِغَة ــ هكذا عرفت الأمر من ملفات المحاكم المطبوع أحكامها سنَة بسنَة بمكتبَة الجامعَة ــ كانت هُنَاكَ مسرحية اسمها "صديقي فريدريك" تروي قصَة اضطهاد طفل يهودي فِي ألمانيا فيما بين الحربين العالميتين، مُدرِّس بإحدى المدارس الثانوية

---

* منكرو وقوع المحرقة انطلقوا جميعا من عباءَة مفكر فرنسي يُدعى " بول راسينيه " نشر عام ١٩٥٠ كتابا بعنوان (أكذوبَة أوليسيوس) ذكر فيه أن المحرقة مجرد مؤامرَة يهودية عالمية، وأن كل الوقائع الَّتِي حدثت فِي معسكرات التَّعذيب كانت مجرد أفعال فردية من رجال الصاعقة الألمانية، وانضم لذلك المقاتل الفَرَنْسِي القديم فِي صفوف المُقاومَة الفَرَنْسِية " موريس باردِيك " ولم يحاكم اليهود راسينيه بقانون جيسو، لكنهم انتقموا منه شر انتقام فِي شخص تلميذه " روبرت فوريسون ".

وكان روبرت فوريسون هو أشهر تلاميذ راسينييه وكان أستاذا للأدب الفَرَنْسِي رفض بدوره وقوع المحرقة ضد اليهود كانت بداية إنكاره حقيقة غَرَف الغاز عام ١٩٦٠ عندما قرأ مؤلفات راسينييه، ووصل إِلَى إقناع تام بعدم حقيقتها. ثم بدأ فِي إرسال خطابات إِلَى صحيفة لوموند الفَرَنْسِية تحمل أفكارَه وفي عام ١٩٨٧ نشر مقاله الَّذِي أحدث ضجَّة شديدَة والذي حمل اسم (أكذوبَة أوشفيت) والذي اعتبره اليهود البداية الإستراتيجية الحقيقية لمنكري حقائق التَّاريخ، وأعقب فوريسون مقاله بسلسلَة من المقالات فِي صحيفتي: لوموند والفرنسيتين يحمل نفس أفكاره المنكر للمحارق بشكل أكثر استفاضَة وتنظيما بين عامي ١٩٨١ و ١٩٨٢. و قرر اللوبي اليهودي أن الأمر قد زاد عن الحدِّ مَعَ فوريسون. فبدءوا المُلاحقات القضائية ضده وأدانه قانون جيسو عام ١٩٨٢ بتُهمَة العُنصرية وإنكار حقائق التَّاريخ والتَّحريض على الكراهية العُنصريَة. وهاجم فورسيبون عام ١٩٩٠ التَّعديلات الجديدَة على قانون جيسو فابيو ووصفها بأنها مقيدَة لحرية الفكر والبحث التَّاريخي فِي فرنسا، لكن ذَلِكَ الاحتجاج لم يمنع اليهود من ملاحقته قضائيا عدَة مرات بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٠ .

الْفَرَنْسِية ويُدعى "جان اوي بيرجيه" رأى أن نظام التّعليم الْفَرَنْسِي لا يقدم الْحقائق التّاريخية الْحقيقية فِي فترَة الْحرب الْعالمية الثانية كما ينبغي، وضع نقطَة نظَام أمام طُلابه، وعَقِب عرض هذه الْمسرحية قال: لا أريد منكم أن تتأثروا بكل تلك الْمشاهد الّتِي رأيتموها. تناول الأمر من النَّاحية النَّقدية

قائلا: ستلاحظون أن اليهود الذين ماتوا فِي مُعسكرات التّعذيب أقل بكثير مِمَّا يقولونه لكم، وغالبية اليهود الذين ماتوا لقوا مصرعهم من آثار حصار الْحُلفاء لهم فِي الْمُدن الألْمانية أما "غُرَف الْغاز" الّتِي صدَّعوا رءوسنا بِهَا فكانت تُستخدم فقط لتنظيف الْملابس من الْبقع .

كانت تلك الْجملَة الْعابرَة التي نطق بِهَا الْمدرس الْفَرَنْسِي كافية جدا لكي يبدأ اللوبي اليهودي فِي مُلاحقته قضائيا وجنائيا ومدنيا!! فقام أولياء أمور الطُّلاب بتقديم شكوى لإدارَة الْمدرسَة ضدَّه وحوكم بموجب قانون "جيسو الْفَرَنْسِي" بتُهمَة الْعنصرية ومُعاداة السَّامية وإنكار وقوع جرائم ضد الإنسانية، وحكم عليه بالْحبس لمدَة ١٢ شهرا وبغرامَة قدرها ١٠ آلاف فرنك مَعَ تهديد صريح بإبعاده من السلك التّعليمي فِي فرنسا. وإلى جوار الْمُحاكمَة شنَّت جماعات الضغط اليهودي حملَة إعلامية شرسَة عليه وَصَفَتْه فيها بأنه نازي يبُثُّ سمومه فِي آذان الطُّلاب وتعقبوا كل محام يدافع عنه، وصنعوا له تاريخا أسود يصعب تحديد حقيقته من زيفه. وعند محاكمة "جان اوي بيرجيه" أمام الْقضاء الْفَرَنْسِي جلست زوجته فِي قاعَة الْمحكمَة تتلوا آيات من الْكتاب الْمُقَدَّس وهِيَ ترتجف، بينما جلس هو هادئا وعلى وجهه ابتسامَة لا مُبالية وعندما سألْته

الْقاضيَة: هل تؤمن حقًّا بأن غُرَف الغاز النَّازية لم توجد قط؟ اتَّسعت ابتسامته اللا مُبالية، وقال: لماذا تسألونني سؤالا يُجرِّم القانون الإجابَة عنه؟ ليس من حقي ولا من حق أي مخلوق أن يفكر مجرد التَّفكير فِي الإجابَة عن ذَلِكَ السؤال*?! ...

يبدو أن اليهود لن يتركوا أحدا فِي دراسته يوما واحدا إذا تعلق الأمر بتاريخهم دون أن يلاحقوه ويحاكموه ويمزقوه إربا لو لزم الأمر، وفي نفس الوقت سيذبحون كلَّ مَن يُحاول إضافَة حقائق جديدَة للتاريخ تضم المذابح الَّتِي يرتكبونها هم. فهل يتركوننا؟ ! كانت أغرب قضايا مُحاكمَة مُفكِّر بموجب قانون جيسو هِيَ قضية المؤرخ الْفَرَنْسِي "جان بلاتين" الَّذِي أصدر ٣ أعداد من مجلة تاريخية نشر فيها عدَّة مقالات تتناول الْفترَة فيما بين الْحربين الْعالميتين، وتوصَّل فيها إلَى نفس الْحقيقَة الأساسية الَّتِي يتوصل إليها كل من يُحاكم بقانون جيسو أن المحرقَة النَّازية فِي مُجْمَلها مجرَّد أكذوبَة كبيرَة، وكالعادَة أطلق اللوبي اليهودي قانون جيسو فِي مواجهته. لكن المفاجأة الَّتِي اصطدم بِهَا اليهود كانت استحالَة تطبيق قانون جيسو على الدَّوْريات الَّتِي تفصل بين صدور أعدادها مُدَّة زمنية طويلَة، وكانت هِيَ حالَة بلاتين الَّتِي كانت تتخلَّل فترَة صُدور أعداد دورية فِي السوق الْفَرَنْسِي فترَة طويلَة، ألا أن ذَلِكَ لم يوقف اليهود؟ ! فلم يستخدموا قانون جيسو لعام ١٩٩٠. استخدموا نُسخَة قديمَة للقانون صدرت عام ١٩٤٩ واستخدموا مادَّة فيه

* باحث تاريخي هو برنارد نوتين أستاذ الاقتصاد الْفَرَنْسِي بجامعَة ليون الَّذِي نشر عام ١٩٨٩ فِي مجلَة " اقتصاد ومجتمعات " الْفَرَنْسية بعنوان: دور الإعلام فِي تغييب الْوعي الْقومي. أنكر فِيه بشكل حاد وقوع المحارق النَّازية، فلاحقه اليهود قضائيا بنفس الشَّكل الحادّ وحاكموه. ثم أدانوه بموجب قانون جيسو

تنص على ضرورَة حماية القصر من المواد الَّتِي تُزيِّف حقائق التّاريخ ونجحوا فِي تغريمه: ٣٠ ألف فرنك لـ٣ جهات يهودية مختلفَة، ونصحوه بأن يكف عن الخوض فِي مثل هذه الأمور حتَّى لا تصل غرامته إلى الحد الأقصى الَّذِي يُحدِّده قانون جيسو وهو ٣٠٠ ألف فرنك. أيُمكن أن تدعوني فرنسا لوليمَة للحزن؟ ! أتكون هذه الأرْض محترفَة للعشق. . والخوف بالتّساوي؟ !

قصتي مَعَ فرنسا لها عدَّة بدايات، ولكن تأتي النِّهايات غير المُتوقَّعَة إنها مَقالِب القَدَر. يُصبح ما حَلمنا به صغيرا، تافها، إذا ما تَعارض ذَلِكَ مَعَ أمْنَنا وحريتنا، سُلَّم الأولويات يتغير فجأة فلا يبقى إلا أمل النَّجاة، ألهذا قال (سارتر) عن الأحلام والأماني: الأمل القَذِر !! أخرج من الجامعَة، أتَّجه إلى صالون حلاقَة على الجانب الآخر من الميدان الواسع، إحساس بأني مُراقب ــ وإن كنت غير واثق من صحته ــ يفرض عليَّ فكرَة التّنكُّر؟ ! إنه الخوف الغامض. أطلب من الحلَّاق أن يحلق لي شعري "زيرو" وللدَّهشَة طلب مني أن أختار بين عدَّة قصَّات! أمامي فِي الصَّالون تليفزيون يبث برنامج للمذيعَة المشهورَة "بربارا والترز" يجلس أمامها رجل سمين وجهه يشع بالحُمرَة تسأله: أيمكن للبطل والناس تستقبله بالورود والعلامات الصفراء الدالة على الانتصار أن يعلن انسحابَه ويقرِّر التّقاعد؟ ــ لأني أعرف بأن الأمر لم يكن يحتاج لبطل ! وبعد تحرير الكويت، اشتقت للاهتمام بحديقَة منزلي، فالسن والتّنبؤ بالقادم جعل القرار سهلا. أسأل الحلاق من هَذا الرَّجل الرَّبعَة السمين؟ فيقول لي : إنه "شوارتز كوف" الأمريكي بطل حرب تحرير

الْكويـت أُنصِـت حتَّـى تـتم الْحلاقَـة. والْمـوس اللامـع يجـزُّ شعري لِيُخلصني من "فوبيا ــ الْبقاء" كما كان نفس الْموس بمَكَّة يُخلصني من "فوبيا – الْعذاب"

تنتهي الْحِلاقَة، أنظر فِي الْمرآة فأجد شبيه "لبول برينر" أشهر ممثل عالمي أقرع، أترك الْمكان. لم يبق إلا الهروب مَـعَ زوجتـي الْحسـناء الْمُعدَّلَـة بالشَّـعر الأصـفر الصِّـناعي، تخـرج مـن فرنسـا بـدون حجـاب بفقـه الضَّـرُورَة ومنطـق الْغُربَـة؟ لـم يعُـد صَـدْر فرنسـا مـوطني. . ولا أرض الهـوى أرضـي. مُسـتَحيل أن أبقـى هُنَـا. . فهنـا يبكـي علـى بعضـي بعضـي. نهـرب إلـى بريطانيـا فيمـا يُشـبه رحـلات النُّزهَـة الْبحريَّـة، عبـر بحـر الْمـانش. نخـرج بأرواحنـا فقـط تـاركين آمالنا يأكلها الخطر، تماما كما خرجنا من قبل من الكويت فِـي حـرب [الْكويـت – صـدام حسـين] ! بالتسـعينات ومـا ادراك ما التسعينات؟!

لـم نـنس أنْ نضـع مفتـاح الأستوديو – حيـث نسـكن ـــ فِي مظروف بصندوق بريد الْفَرَنْسِية صاحبَة الْبيت.

أيُمْكن أن ننجح؟ أيمْكن أن نجد مِثْراسا مُتاحًا للبهجَة؟ !

المؤلف فى سطور:

الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد

وشهرته اشرف توفيق

الجنسية :مصرى

العنوان: ١٧ شارع احمد حسني -رابعة العدوية-مدينة نصر- القاهرة- ج م ع

التليفونات ٠١٢٢٣٤٦٧٥٧١-٠٢٢٤٠٤٦٧٤٦

- حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه "الاول" ١٩٨٤م- حاصل على ماجستير قانون ١٩٨٨م- عضو أتحاد الكتاب ١٩٩٥, عضو أتيليه القاهرة ١٩٩٩ -

نشر عده كتب أهمها:

*نساء الملك فاروق (٣ طبعات)،

*جرائم المرأة " العام السري للنساء" جزئيين

*المعارضة (جزئيين) حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية ١٩٨٩م (طبعتين

* إعترافات نساء أديبات،

.....

أشعر في قلة المصريين بغربة وتوتر. لكني تذكرتها فشعرت براحة لا أعرف مصدرها .كان وجودها معي يجعلني أتحدي غموض الأماكن جمعتني بها دراسة القانون. بعد أن سيطر القانون الفرنسي على منطقتنا بما يعرف - بالقوة الناعمة - قدر ناعم الخطى يمشى ملكا اجمعتنا قليلا قاعات الدرس وكثيرا الصدف !! أنا في منحة دراسية قصيرة أبحث عن صحيح النص القانوني [ظاهره وباطنه] وهي مغربية في دراسة معادلة لتعمل كمحامية بفرنسا.